جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

جودى كوبلن
ألكسندرا ميلين

فريد الفالوجى

أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية
مكتبة الجاسوسية



جاسوسات عاشقات

هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، ويعن وطنهن وغدرن بأهلهن.. فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

جودى كوبلن و ألكسندرا ميلين :

الأولى، اكتشفت المخابرات السوفيتية طباعها، وعرفت فراغها العاطفى بالرغم من انتمائها لأسرة أمريكية ثرية، فأرسلت لها من يستطيع إغراءها والإيقاع بها لأنها تعمل فى مكان حساس وتحت يدها مجموعة هائلة من الأسرار التى تساعد الروس فى مخططاتهم، وبالفعل انساقت وراء عواطفها وتجسست على أمريكا لصالح الاتحاد السوفيتى عدوها اللدود.. وفى النهاية وجدت نفسها بين أسوار السجن لتلقى جزاء الخيانة.

الثانية، فتاة سويسرية جندتها المخابرات الإسرائيلية، نجحت فى تجنيد أحد المهندسين السويسريين لتقديم تصميمات الطائرة الميراج إلى إسرائيل، وأودعت صاحبها السجن، لتستمتع هى بحياتها مع رجل آخر..!

النَّاشِر





مكتبة الجاسوسية

جاسوسات عاشقات

خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

جودى كوبلن
ألكسندرا ميلين

فريد الفالوجي



رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

مستشار النشر

أحمد جمال الدين

رقم الإيداع

٢٠٠٥ / ١٨١١٩

الترقيم الدولى

٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٤٢-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى

«مكتبة ابن سينا»

ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات

المؤلف : فريد الفالوجى

الغلاف : للفنان إلهامى عزت

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش. م. م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة

E-mail:atlas@innovations-co.com

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطن وبذلك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة على أمنه وسلامته..

وهذه السلسلة من (جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. سنندهش أمام حالة فتاة أمريكية من أسرة ثرية راقية .. أحبت شاباً روسياً وسيماً دفعته مخابرات بلاده لتجنيدها ضد وطنها.. فأحبته حباً مجنوناً ونشطت فى مهمتها حتى النهاية..

أما القصة التى تليها .. فتبين إحدى قذارات الاستخبارات الإسرائيلية فى أوضح دليل لايقبل المجادلة .!!

فريد الفالوجي
القاهرة ـ مدينة نصر

جودى كوبلن



أبلغ وصف لهذه الجاسوسة الأمريكية، أنها باعت وطنها بالحنان. لقد كانت تبحث عن الحب والدفء العاطفى، والرومانسية ، فأحبت رجلاً سوفييتياً وآخر أمريكياً فى الوقت نفسه.. وعندما أدينت بالتجسس لصالح السوفييت، أحبت المحامى الذى دافع عنها .. وتزوجته.!!

الغربان الروس

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وظفت أجهزة الاستخبارات فى الدول الكبرى المنتصرة شتى الحيل للتجسس على الآخرين، بغية الاستحواذ والتغلغل والتميز والهيمنة.

وفى هذا الاتجاه لجأت الاستخبارات السوفييتية إلى أساليب غاية فى الغرابة من أجل اقتحام مخازن أسرار دول الغرب، وبالأخص الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية.. فاستخدمت فتيات غاية فى الرقة والأنوثة والجمال لإغواء رجال البعثات الدبلوماسية الغربيين فى موسكو ، حيث اشتهرن باسم «العصافير الفاتنة» .

لكن تردد بعد ذلك أن هناك «غربان» أيضا، وهو اسم رمزى أطلق على طابور طويل من الشباب ذوى الوسامة واللباقة والأجسام الرياضية الرشيقة، هؤلاء تم تدريبهم على كيفية التعامل مع فتيات الغرب، وإجادة حيل الإغراء والاستحواذ وطرق ممارسة الحب لإرضاء رغبات أية امرأة . وكانت التدريبات من الصعوبة بحيث انتحر بعضهم لعدم القدرة على التحمل والإجهاد المتصل .

أجمل من الصورة

أرسل أحد هؤلاء «الغربان» إلى واشنطن بجواز سفر دبلوماسى باسم «فالنتين جوبتشوف» ، وكان شاباً رياضياً وسيماً فى نحو الثلاثين من عمره، وكانت مهمته الأساسية الإيقاع بالفتاة الأمريكية الجميلة الخجولة « جودى كوبلن » التى تقيم بمفردها فى شقة صغيرة، ولا تكاد تهتم بأى شئ سوى بالفنون والموسيقى وقراءة الصحف والمجلات.

هكذا جاءت تحريات المراقبات الطويلة للآنسة كوبلن التى كانت تعمل من قبل بوزارة العدل فى نيويورك، ثم نقلت إلى مكتب مراقبة الأجانب والإحصاء فى واشنطن التابع للوزارة نفسها، حيث كانت تعمل محللة استراتيجية وتحت يديها أسرار بالغة الأهمية لا يطلع عليها إلا القلة.

كان من بين هذه الأسرار ملفات أمنية لعملاء سوفييت فى واشنطن وعملاء لـ C.I.A فى موسكو.

وبنـاءً علـى هـذه التحريـات، سـعت الاسـتخبارات الروسـية لاصطياد «كوبلن» ، بأية وسيلة .. وكان أن أرسـل «جوبتشوف» إلى واشنطن خصيصاً للإيقاع بـها فـى حبائلـه .. وبالتـالى تنكشـف الأسرار الدفينة.

ولكى يكون العميل السوفييتى فى أوج ثقته بنفسـه وبقدراتـه لإقنـاع الفريسـة الأمريكيـة والإيقـاع بـها، فقـد أخضـع لـدورة تثقيفية، شملت كل مـا يتصل بـالفنون ومدارسـها وروادهـا فـى مختلف دول العالم،وأنصت كثيرا لمحاضرات فى الدراسـات النقديـة الفنية لمـدارس الرسـم ، مـع شـروح مصطلحيـة متخصصـة تكـون مفتاح الدخول لعقل الفتاة الأمريكية المثقفة التى حللها داخلياً و حفظ صورتها على ظهر قلب.

وبعـد انقضـاء المـدة المقـررة للدورة، أثبـت جوبتشـوف نجاحـاً بـاهرا، وقـدرة لا حـدود لهـا فـى الحديـث عـن الفنـون وأصحـاب المذاهـب الفنيـة، واجتـاز الـدورة بنجـاح مذهـل عجـل بسـفره إلى واشـنطن يحمـل جـواز سـفر دبلوماسـى كـأحد أعضـاء الوفـد السوفييتى فى هيئة الأمم المتحدة.

وفى واشنطن استعاض عن صورة الفتاة بأن رآها شحماً ولحماً عن بعد، وساعتئذ قال لمرافقه الذى هو زميله فى الـ K.G.B :

ـ أعتقد أنها أجمل كثيرا مما هى عليه فى الصورة.

وتكثفت عملية المراقبة للفتاة لتحين أول فرصة مواتية ، يستطيع جوبتشوف من خلالها فتح حوار عفوى بينهما يقوده بخبرته إلى علاقة حب عميقة.!!

عاشقة الفن

كانت جودى فتاة رقيقة كالنسيم .. شاعرية .. رومانسية . تعشق الجمال والفن والعصافير .. وتتغنى مع راقصات الورود على استيحاء فى طفولية بريئة وعفوية حانية .. فهى انطوائية خجولة تتعايش حتى الإدمان مع أحلام اليقظة .. وتنسج فى خيالها قصصاً تفيض بالحب الأسطورى الذى ندر وجوده فى عالمنا .. وتظل تسرح مع أحداث قصصها الخيالية وكأنما هى حقيقية فتصدقها .. وتبكى لأحزان أبطالها وتتألم معهم .. كذلك تفرح لأفراحهم ملء قلبها وكيانها.

ولطبيعة حبها لكل ما هو جميل .. كانت تقضى معظم وقتها بين المتاحف الفنية .. تحلم .. وتتأمل .. وتحلل ارتعاشات ريشة الفنان ..

وفى زيارة لأحد المعارض ذات يوم ربيعى منعش .. ارتدت فستانها الأرجوانى المزركش فبددت كفراشة حالمة يخشى الإنسان لمسها .. وتفيض فتنة ناعمة توقظ نبضة الحب والغزل.

وأمام إحدى لوحات مدرسة الفن الحديث وقفت مشدودة وقد استغرقها الخيال .. وانتبهت فجأة على صوت يقول:

ـ رائعة جدا .. إن هذا الفنان لشاعر عبقرى.

على استحياء رنت إليه وقد ارتبكت خلجاتها فلم تعلق ..

وأضاف:

ـ الرمزية فى اللوحة صريحة ومتعددة..

أجابت بخجل فى تردد:

ـ نعم .. فالفنان هنا تتضارب انفعالاته .. وكأنما سكبت من مشاعره وأعصابه.

انفـردت قسمات وجهه عـن ابتسامة واسعة تعلوها الدهشة وهو يقول:

ـ أنت فنانة إذن ..!!

ثم قال مستدركاً :

ـ هل أنت صاحبة اللوحة..؟

تبسمت فى خفر وأجابته:

ـ إننى فقط عاشقة للفن.

ولم يشأ جوبتشوف أن يضيع هذه الفرصة الذهبية للتعارف، لذلك قال على الفور:

ـ إن تحليلك لرائع جدا يا آنسة ...

ردت بتلعثم وقد علا وجهها احمرار واضح:

ـ كوبلن ... جودى كوبلن.

فقال وهو ينحنى فى احترام زائد:

ـ وأنا جوبتشوف .. فالنتين جوبتشوف.

شعرت بارتجافة تغزو بدنها وهى تقلب فى رأسها عما ستقوله، فالاسم يبدو من حروفه يوغوسلافيا أو سوفييتيا، لكنها لم تهتم بالقدر الكافى بهذا اللقاء العابر .. إلا أن العميل المدرب الذكى قرأ ما برأسها، وبادر على الفور قائلاً:

ــ يسرنى كثيرا أن نتناول بعضا من العصير البارد .. بالقرب من هنا مكان رائع أعتقد أنك تعرفينه، فهو يطل على بحيرة صناعية يسبح على سطحها الإوز الأسترالى الرائع الألوان.

بدت مترددة برغم أنها هزت رأسها موافقة، وسألته قبل أن تتحرك من مكانها:

ــ من أين جاءتك الثقة لتخمن بالضبط بأننى من سكان واشنطن؟

ضحك جوبتشوف ولم تفارق الابتسامة وجهه:

ــ وهل هناك شك فى أنك لست من سكان واشنطن..؟ إن نظرتى لا تخيب يا آنسة كوبلن .. فملامحك وملابسك، وحتى وقفتك، كلها حقائق تعطينى مؤشرا على صواب رؤيتى .. وتخمينى.

الحـروب الخـفـيـة

هكذا أغلق دونها أبواب النجاة من براثنه ..

وما هى إلا هنيهة وكانا يسيران جنباً إلى جنب فى طريقهما إلى المكان المقصـود ، واسـتغل جوبتشـوف شـتى مواهبـه وقدراتـه وتدريباتـه فـى مدرسـة الجاسوسـية بموسـكو«جاكزينـا»، لإظـهار إعجابه الشديد بثقافتها الفنية العالية، وكذلك ذوقـها الرفيـع فـى اختيار ألوان ملابسها التى تتواءم تماماً مـع شخصيتها الشاعرية وروحها الشفافة النقية.

يومها .. طارت جودى كوبلن من السعادة وهى تنصت باهتمـام وخجل إلى كلمات الإطـراء التـى يلقيها هـذا الرجـل الأجنبـى علـى مسامعها ..

إنـها إطـراءات رقيقـة مغلفـة بالاحـترام الشـديد كـان لها وقـع ساحر على نفسها، حتى أنها كانت طوال هذا اللقاء العابر ترتجـف تلك الارتجافات اللذيـذة التـى يشعر بـها المـرء عندمـا يصـادف استحساناً يفـوق تخيلـه، خاصـة وهـى تجالس شاباً مليـح الوجـه وسـيم المحيا ، دقيـق الأنـف أزرق العينـين فـى شـعاعاتهما سـحر

وغموض.

كان هذا الاجنبى أيضاً يضج بالرشاقة والأناقة والشباب، حتى أن فتيات كثيرات كن يتطلعن بإعجاب إلى وسامته ويحسدنها على الفوز به.

لم تهتم الآنسة جودى كوبلن كثيرا بجنسية صديقها الجديد، أو بعمله، إذ لم تتصور بأن هذه العلاقة البريئة العابرة قد تكون خطواتها مدروسة ومحسوبة بدقة من قبل الاستخبارات السوفييتية.

وكان ذلك لسبب بسيط ، هو إدراكها بأنها مجرد موظفة تقليدية، فلا أحد يعلم طبيعة عملها بالضبط فى وزارة العدل، ولا يعقل أن تكون على الإطلاق فى بؤرة الاهتمام الاستخباراتى الدولى بأى حال.

بالطبع كان هذا ما تصورته الفتاة الأمريكية الخجولة، ولم تكن تشك للحظة فى أن الحرب الباردة ما بين القوتين العظميين قد تجرفها إلى أتونها.

وأنها بوضعها الوظيفى فى مكتب مراقبة الأجانب، كانت

واقعة تحت المراقبة السوفييتية، بواسطة عناصر استخباراتية فى واشنطن أعدت عنها تقاريرا تحليلية، خلقت منها هدفاً مهماً لحيل الحروب الخفية الدائرة فى الظلام.

لقد افترقا يومها بعد أن ترك كل منهما انطباعا مؤثرا لدى الآخر .

وعندما انفردت الآنسة كوبلن بنفسها فى شقتها كانت كالمنومة مغناطيسياً، فلقد شل هذا اللقاء إرادتها وقلب حياتها، ولم تكن من القوة بحيث تملك القدرة على رفض الموعد الذى حدده جوبتشوف للقاء التالى، إذ أومأت موافقة دون حتى أدنى تفكير، أو تردد.

ذائـبة فى بحر الحب

لم تكد تمض سوى عدة أشهر منذ اللقاء العابر الذى جمع «الدبلوماسى» السوفييتى وجودى كوبلن، حتى انفجرت قنبلة موقوتة فى مبنى جهاز مكافحة الجاسوسية فى واشنطن، وكان ذلك عندما تبين اختفاء العديد من الوثائق والمستندات شديدة السرية خاصة بوزارة العدل، تتصل بتحريات سرية وتحليلات عن نشاط الشيوعيين الأمريكيين فى الولايات المتحدة.

وبالبحث .. اكتشف جهاز مكافحة الجاسوسية F.B.I [1]، أن هذه الوثائق تم تسريبها إلى السفارة السوفييتية فى واشنطن، وأكدت عملية التحريات السرية أن وراء هذا التسريب موظفة

---

(١) F.B.I هو مكتب التحقيقات الفيدرالية المختص بالأمن الداخلى فى الولايات المتحدة الأمريكية ومن بين مهامه أيضا مكافحة الجاسوسية ومراقبة الدبلوماسيين الأجانب. تأسس المكتب عام ١٩١٩ كهيئة للشرطة السياسية (مباحث أمن الدولة) وعندما أثيرت بعض الفضائح بالمكتب، اختير «إدجار جون هوفر» عام ١٩٢٤ رئيسا للـ F.B.I الذى عمل على مطاردة الجواسيس وزعماء عصابات الإجرام، ويفشل كيندى فى إقصاء هوفر، لكن الرئيس نيكسون نجح فى إقالته بعد قرابة نصف قرن فى منصبه. ومكتب التحقيقات الفيدرالية F.B.I يتبع مباشرة مجلس الأمن القومى الأمريكى، الذى يشرف عليه الرئيس الأمريكى ويرأسه مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى، ومن أعضائه وزير الخارجية، ومدير وكالة الاستخبارات المركزية C.I.A ، ووزير الدفاع، ورئيس استخبارات الدفاع D.I.A ، وكذلك رئيس وكالة الأمن القومى N.S.A .

أمريكية من بين اللاتى يعملن بقسم التحليل فى وزارة العدل، حيث يمكنها الإطلاع على مثل هذه الوثائق لدواعى عملها، أو ربما تكون هناك شبكة جاسوسية واسعة اخترقت حواجز السرية وباعت كنوز الأسرار للسوفييت.

كان هناك إذن سباق محموم فى مكتب التحقيقات الفيدرالية، من أجل الكشف عن تلك المرأة المجهولة الضالعة بلا شك فى شبكة تجسس دولية خطيرة.

لكن ... لماذا اتجهت شكوك الـ F.B.I تجاه «امرأة» فى وزارة العدل ولم تكن هناك شكوكاً تجاه « رجل » .. ؟

المسألة ببساطة شديدة، أن وزارة العدل كانت ترى فى النساء قدرة فائقة على تحليل البيانات الاستراتيجية وحفظ المعلومات أكثر من الرجال.

وبناءً عليه عملت النساء فى أقسام التحليل والتسجيل والأرشيف والسكرتارية، وأثبتن مهارة فى عملهن مما دعا إلى إحاطتهن بكل أسرار وزارة العدل.

وعند البحث عن امرأة بعينها قامت بتسريب الكثير من

المعلومات إلى الاستخبارات السوفييتية، اتجهت الشكوك حول الموظفات فى أقسام التحليل المتصلة بالشيوعيين الأمريكيين، والمنوطات بالتقارير السرية عن الدبلوماسيين السوفييت فى سفارتهم بواشنطن.

أو هؤلاء الذين يعملون ضمن بعثة موسكو فى الأمم المتحدة التى هى أكبر البعثات الدبلوماسية فى الولايات المتحدة، وتحاصر أفرادها الشكوك لكونهم فى الغالب من رجال الاستخبارات السوفييتية، برغم صفتهم الرسمية.

كذلك اتجهت الشكوك وعملية البحث إلى الآنسات بوزارة العدل، حيث بالإمكان الاستحواذ على إحداهن بتوريطها فى علاقة غرامية، أو تحت إغراءات المال للتأثير على أعصابها. فالحب والمال والجنس أسلحة الاستخبارات لاصطياد الرجال، والنساء أيضاً. فكل منهما يضعف أمام شهوة امتلاك ما ينقصه ويسعى إليه فى دأب إن لاحت فرصة سانحة أمامه.

العميل السرى

لقد تم حصر الشبهات فى عشرات الموظفات من الآنسات والسيدات، وتمت عملية فرز لهن بعد تحريات ومراقبات دقيقة مستمرة، حتى انحصرت الشكوك فى ثلاثة آنسات جميعهن يعملن فى تصنيف الوثائق السرية وكتابة التحليلات عنها، وكذا الاطلاع على شتى الملفات فى الوزارة بحرية مطلقة، وكان من بينهن «جودى كوبلن».

تلك الفتاة الرومانسية الرقيقة والمحبوبة من الجميع، والتى اشتهرت فى إدارتها بتحليلاتها الرائعة التى أدهشت مديريها وأعجبتهم إلى حد كبير.

كان ذلك يرجع إلى ما اشتهر عنها من قبل عندما كانت تحرر افتتاحية الصحيفة الطلابية فى جامعة برنارد فى نيويورك، حيث كانت تدرس الاقتصاد والعلوم السياسية.

لذلك سعت بعد تخرجها مباشرة للعمل فى وزارة العدل، وبعد اختبارات تتصل بتحليل الأحداث وقراءة خلفياتها، قبلت على الفور فى قسم الوثائق التحليلية بالوزارة، وهو القسم الذى

يزدحم بالملفات وأخطر الأسرار.

هذه الشكوك التى طالت جودى كوبلن، كانت بسبب عميل أمريكى تم زرعه فى البعثة الدبلوماسية السوفييتية بواشنطن، وقد أبقى اسمه سرا من الأسرار التى لا يجب كشفها.

إذ أمكن لهذا العميل نقل معلومات خطيرة إلى رئيس الـ F.B.I ، إدجار هوفر ، تؤكد تسريب معلومات إلى الاستخبارات السوفييتية K.G.B، تتضمن كافة التقارير السرية عن نشاط الشيوعيين الأمريكيين، وكذا ملاحظات عن البعثة الدبلوماسية السوفييتية فى الولايات المتحدة، بناءً على تقارير المراقبات السرية لأفرادها.

ولما كانت هذه المعلومات تتصل بمكتب وزارة العدل فى واشنطن، وضعت الآنسة كوبلن مع زميلتان لها فى المكتب تحت المراقبة الأمنية المستمرة على مدار اليوم.

ريشة بائع السجق

ولدت جودى كوبلن عام ١٩٢١ بالقرب من «مركز روكفلر».. الذى يقع فى أهم أحياء نيويورك على الشارع الخامس. وهذا الـ «سنتر»[1] عبارة عن عدة ناطحات سحاب يصل ارتفاع بعضها إلى قرابة المائة طابق.

وعلى الرغم من صغر هذا المكان مساحة، فإنه أوسع أحياء نيويورك شهرة وصيتاً، حيث يتردد على هذا المكان عشرات الآلاف من الزوار يومياً، وتشغل معظم هذه الناطحات مكاتب يعمل بها عشرات الموظفين أيضاً، مما يجعل هذا الحى كأنه مدينة قائمة بذاتها. ففيه العديد من المسارح، ومتحف للعلوم، وآخر للصناعة، وساحة كبيرة تقع بين هذه العمارات الضخمة الهائلة للتزحلق على الجليد.

اجتمعت فى هذا الحى أيضًا قنصليات عديدة لدول من شتى القارات، علاوة على المحال المتعددة، والمطاعم، وعشرات البنوك، ومحطة ضخمة لمترو الأنفاق، وقائمة طويلة من الخدمات والمصالح

---

(١) أحمد أبو الفتح : شهر فى نيويورك « سلسلة كتب للجميع ».

والمكاتب التى يصعب عدها.

وسط كل هذه المظاهر، كان هناك أحد المحلات الصغيرة المتواضعة التى اشتهرت ببيع السجق، وهو محل صغير جدا وقف كقزم إلى جوار ناطحات السحاب فى تناقض مضحك. وهذا المحل له قصة طريفة.

فعندما وضع روكفلر تصميمات عمائره الضخمة، كان يعرف أنه سوف يزيل المبانى القديمة بعد أن يشترى الأرض من أصحابها بالثمن الذى يقدرونه هم ويطلبونه.

لذلك دعى نخبة من مستشاريه وأصدقائه وموظفية ، لفتح خطوط اتصال وتفاهمات مع أصحاب الأرض والاتفاق معهم بعيدا عنه، حتى لا يطمعون ويغالون فى الثمن عندما يعرفون أن روكفلر هو المشترى الحقيقى، وذلك نظرا لشهرته فى الشراء وتبنيه للمشاريع العملاقة فى المدينة.

وبهذه الطريقة استطاع روكفلر أن يشترى مساحة الأرض كلها ما عدا رقعة صغيرة، صغيرة جدا، أقيم فوقها محل صغير للسجق رفض صاحبها البيع، حتى بعدما عرض عليه أضعاف أضعاف ثمنها.!!

وعندما بنيت ناطحات السحاب الأربعة عشرة، وأخذت المنطقة شكلاً جديدا وموقعاً متميزا، عرض على الرجل ألف ضعف ثمناً للأرض التى لا تساوى فى الأصل ألف دولار. إلا أن الرجل رفض تماماً أية عروض أو أية مبالغ، حتى أنه رفض أن تقوم شركة روكفلر بدهان المحل من الخارج وإصلاح شكله ليتناسب مع شكل المنطقة ومبانيها الفخمة.

ليس هذا فحسب.. بل ورفض الرجل بدلا من محله مساحة أخرى أكبر، إضافة إلى مبلغ مالى كبير لافتتاح مطعم جديد للسجق بديكورات حديثة.

لقد مات روكلفر وتوقع الرجل أن تتوقف هذه العروض، لكنه كان يتلقى عروضا سخية من ورثته، وكانت له فلسفة عجيبة دعته لأن يرفض شتى العروض.

حيث قال الرجل العنيد أنه غضب جدا عندما اختبأ روكفلر وراء أسماء أخرى خوفا من طمع أصحاب الأراضى فى المنطقة، فأراد أن «يغيظه» فقط، ثم امتدت فلسفته إلى إغاظة ورثة روكفلر، قائلا :

ـ «إن هؤلاء الذين يغيظون الناس بالمال والثراء الفاحش، لابد

أن يغيظهم الإنسان ويغيظ مالهم وثراءهم بأى شئ .. بمعاندة سلطان المال فى أيديهم.»

كانت جودى كوبلن إحدى ورثة هذا الرجل «الفيلسوف» الذى هو عمها، نظرا لأنه لم يرزق بأبناء. وكانت عقلية عمها وفلسفته من البديهيات التى تعلمت منها كيف تقاوم شرور النفس وأطماع الآخرين وسلطانهم.

إلا أنها وقفت عاجزة ولم تستطع كبح جماح عاطفتها وحبها للدبلوماسى السوفييتى فالنتين جوبتشوف. ويبدو أن حبها هذا كان عتياً للدرجة التى دفعتها لأن تقع ضحية تأثيره عليها، وبالتالى سقوطها فى أخطاء أكبر وأفدح.

شبكة المراقبة

كان العميل المدرب، جوبتشوف، حسبما خططت له الاستخبارات السوفييتية، قد أخبر جودى كوبلن بأن له زوجة روسية لم يصحبها معه إلى واشنطن، نظرا للمشاكل الكثيرة التى تسود حياتهما الزوجية، وأنه يفكر فى تطليقها بشكل جدى.. لكن وضعه كدبلوماسى فى بلد أجنبى يجعله عاجزا عن اتخاذ مثل هذا القرار بدون موافقة الخارجية السوفييتية.

وأخبرها أيضاً بأنه تقدم بالفعل بالتماسات عديدة للسماح له بتطليقها وموافقته على منحها النفقة المقررة خصما من راتبه، لكنه لم يتسلم ردا بعد، نظرا لكون مثل هذه الطلبات تأخذ وقتاً طويلاً فى الدراسة قبل إعلان الرأى النهائى.

كذلك أضاف جوبتشوف إلى معلوماتها أيضاً، شارحا وموضحاً أن إثبات جدارته الوظيفية فى واشنطن مسألة تحسب لصالحه، حيث تعد الموافقة على التماساته كحافز تشجيعى له ومكافأة على إخلاصه وتفانيه فى العمل .

لذلك فهو يبذل كل جهده فى العمل لينال ما يصبو إليه،

وبالتالى يمكن لهما أن يتزوجا وينجبا أطفالا، وتضمهم جميعا حياة هانئة حيث ستصرف له مكافأة سخية على خدماته لوطنه وسيحدد له معاش شهرى مناسب.

كانت جودى كوبلن تحلل حوارات جوبتشوف معها، وتكاد تسبح فى الفضاء الفسيح كفراشة زاهية مرحة سعيدة. فالحياة مع هذا الرجل المدهش ممتعة وأكثر مما كانت تحلم به.

إن جوبتشوف وقد أجاد أداء دوره، كان يفيض حنانا غزيرا بلا حدود، ورغبته فى إنهاء مسألة طلاقه لكى يتزوجها كانت تفوق رغبتها.

فحكاية زواجه «الوهمية» من فتاة مستفزة كانت مأساة بحق حتى أنها كادت أن تقضى على مستقبله فى وزارة الخارجية، لولا مديريه الذين كانوا على ثقة من جدارته وكفاءته الوظيفية كدبلوماسى شاب يجيد الإنجليزية بطلاقة، ويعمل بلا كلل وفقا لبروتوكول العمل الصعب الذى يتوافق وحجم الاتحاد السوفييتى ومصالحه وأهميته الاقتصادية ، والسياسية ، والعسكرية ، فى مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية.

على كل حال، اجتمع إدجار هوفر مدير الـ F.B.I مع كبار

مساعديه، وبعد نقاش طويل حول كارثة التغلغل السوفييتي فى وزارة العدل الأمريكية، عهد إلى ضابط الاستخبارات الذكى «فيكينت دولامبين»، مهمة مراقبة جودى كوبلن على مدار اليوم، وعمل شبكة واسعة من التحريات عنها تتضمن تفاصيل حياتها، وجدول برنامجها اليومى فى العمل وخارج العمل، كذلك كل من له علاقة بها.

اقتحام شقة كوبلن

بذل «دولامبين» جهودا جبارة فى البحث فى تاريخ الآنسة كوبلن وعلاقاتها وثقافتها، ووصل به الأمر أن تتبع تاريخها منذ كانت بالجامعة تحسبا لانخراطها فى أية جماعات شيوعية من الطلاب الذين كانوا معها أثناء الدراسة.

لكن أسفرت التحريات النهائية عن تقرير يؤكد أن كوبلن فتاة تحب الفن، وتقرأ فى الأدب والشعر، وأنها انطوائية لا تصادق الشباب أو تلتفت إلى مغازلاتهم. وبدلاً من أن تسعى إلى مصاحبتهم فى النزهات الخلوية أو سهرات الأجازات، تمكث معظم الوقت بشقتها الصغيرة، حيث تحرص على شراء الصحف والمجلات

وتقضى الليل فى القراءة.

وبالرغم مما جاء فى تقرير المراقبة والتحريات، لم يتوقف ضابط مكافحة الجاسوسية عن مراقبة كوبلن المستمرة فى البيت، والعمل، والشارع، والمكتبات، ومعارض الرسم، وأكشاك بيع الزهور.

هكذا طوال ٢٤ ساعة لم تشعر خلالها الفتاة الرومانسية بالعيون التى تحاصرها من كل زاوية.

وللمرة الثانية جاءت أيضاً نتيجة المراقبة مخيبة لآمال فيكينت ورجاله، وبالتالى لإدجار هوفر نفسه. فالفتاة كانت بعيدة كل البعد عن علاقات الشباب، وعن السلوكيات الغير سوية، وكانت إلى جانب ذلك لا تحتاج إلى المال. فإلى جانب مرتبها الضخم كان والدها - صموئيل كوبلن - وهو رجل ثرى يمتلك مصنعاً لأدوات المطبخ - سخياً معها، وبالتالى انتفت الشكوك حول سقوطها فى براثن السوفييت بسبب الحاجة إلى المال.

لكن هل يأس الضابط المكلف بأداء المهمة الصعبة..؟

لا .. لم ييأس فيكينت دولامبين..!!

لم ييأس أبدا هذا الضابط المثابر.

إذ استمر لأسابيع طويلة فى مراقبـة الفتـاة، يحدوه الأمـل فـى كشف لغز الجاسوس السرى الـذى سرب الكثير مـن التقـارير إلى الاستخبارات السوفييتية، وكل هذه التقارير المسربة كانت الآنسـة كوبلن قد قرأتها، أو كتبت تحليـلات حولها، وتعـرف بالتـالى كافـة أسرار وزارة العدل بالغة الأهمية.

هكذا كان الوقـت يمضى دون أن يتوصـل فيكنيـت إلى أى دليـل يديـن الفتـاة، مما عرضـه للـهجوم الحـاد مـن قيادتـه واتهامـه بالتقصير، وكانت قمة ما وصل إليـه هـذا الهجـوم، هـو التلويـح لـه بأنهم سيضطرون إلى سحب القضية منه لفشله الذريـع فـى كشف ألغازهـا، وعكوفـة علـى مراقبـة فتـاة حالمـة، رومانسية، نـادرا مـا تأتيها مكالمة تليفونية، أو تتصل هى بأحد.

لكن الضابط الذى تعامل كثيرا مع مثل هذه القضايا مـن قبـل، كانت لديه حاسة شم غريبة، وثمة شك داخلى يدفعه لأن يواصـل مراقبته للفتاة.

وأمـام الضغـط المتواصـل الـذى تعـرض لـه، والتـهديد بسـحب العمليـة منـه، يغـامر فيكينـت دون إذن مسبق، ويتمكـن بمعاونـة

فريق من رجاله ومن الفنيين من دخول شقة جودى كوبلن لتفتيشها.

لكن الحظ لم يحالفه، ويفشل أيضا فى العثور على دليل واحد ضدها.

بيد أنه قبلما يغادر الشقة وهو يجر زيول الخيبة، لاحظ وجود كتاب يحمل إهداء من أحد المحامين ويدعى «شابيرو»، وكان هناك خطاب شخصى من الجنرال «توم كلارك»، يهنئها فيه بالنجاح، وكفاءتها البالغة فى التحليل والتفنيد، مشجعا إياها على الاستمرار فى عملها الرائع.

امرأة لا تعرف الأدب

حرص فيكينت على ألا تلحظ جودى كوبلن أية آثار لاقتحام مسكنها، وأجرى تحريات حول المحامى «شابيرو» الذى تبين أنه زميلها فى العمل.

وبالتحرى عنه اكتشف ضابط الاستخبارات أنه متعدد العلاقات النسائية، لذلك وضع تليفونه تحت المراقبة، إلى أن ظهرت مفاجأة مثيرة لا تخطر ببال. إذ تم تسجيل مكالمة أجرتها

كوبلن مع شابيرو من كابينة عامة، تطلب فيها منه تحديد موعد للقاء، فى أسرع وقت.

تبسم فيكينت أخيرا فى ارتياح، إذ وثبت إلى فكره الظنون بأن ثمة علاقة خفية بين الآنسة جودى كوبلن وزميلها محامى الحكومة، وأنه بمراقبة اللقاء الذى سيتم بينهما فى أحد فنادق بلتيمور Baltimore ستتضح على الفور الكثير من الأسرار التى ستحل شفرة هذا اللغز المحير.

هكذا رسخ بوجدان فيكينت أن أحدهما، أو الاثنين معا، ربما يكونا ضالعين فى التجسس لصالح السوفييت.

كان شابيرو قد حدد مكان اللقاء مع زميلته فى اليوم التالى بالقرب من بيتها، حيث سيصحبها كالعادة فى سيارته الـ «فورد» إلى فندق «الجنوب» فى بلتيمور.

عندئذ سارع ضابط الاستخبارات بالحصول على الموافقات القانونية التى تؤمن مهمته، ورتب فى الوقت نفسه كل شئ مع إدارة الفندق، حيث حجز الحجرة الملاصقة للحجرة الأخرى التى من المفترض أن ينزل بها شابيرو وكوبلن.

كذلك تم تجهيز العديد من معدات التنصت الحساسة وتجربتها

للاطمئنان على سلامة عملها، من اجل الحصول على دليل دامغ في حال ثبوت تورطهما في التجسس ضد أمريكا.

وفى اليوم التالى راقب الفريق الأمنى شابير وهو يقود سيارته إلى مكان اللقاء المتفق عليه، ولاحظ الفريق الآخر الآنسة كوبلن وهى تغادر أحد المطاعم وتقف على الرصيف المواجه فى انتظار صديقها.

وعندما توقف شابيرو أمامها دلفت على الفور إلى سيارته التى انطلق بها المحامى الشاب إلى الشمال من واشنطن حتى بلتيمور، بينما كان فيكينت ينتظرهما فى الحجرة بالفندق مع فريقه الأمنى الثالث.

أرشدهما عامل الفندق إلى حجرتهما التى حجزا بها باسم السيد والسيدة شابيرو، وقبع فريق المراقبة يسجل كل ما يدور بالحجرة الأخرى من حوارات .

لكن برغم خيبة ضابط الاستخبارات الذى ما سمع أى أحاديث بينهما فى السياسة أو العمل، إلا أن دهشته كانت تفوق الوصف عندما اكتشف شيئا عجيبا.

إذ أن الفتاة الرومانسية المهذبة الخجول التى لا يتصور أن

يشك إنسان فى سلوكها، كانت تبدو على الفراش مع صديقها كامرأة داعرة لا تعرف أى شئ عن الأدب، قولا وفعلا.

لقد أذهلت المفاجأة ضابط الاستخبارات الذى صعق بشدة، حتى أنه كتب فى تقريره الذى رفعه إلى رئاسته:

ـ «تصورت أننى سأضع حدا لهذه القضية التى بات بطليها قاب قوسين من السقوط فى قبضتنا .. فالتحريات كانت تشكك فى إمكانية وجود علاقة ما غير مفهومة بين شابيرو والآنسة كوبلن، وبالربط بين تسلسل الأحداث كان لدى قناعة بأننى سأصل إلى شئ ..

لكن المفاجأة التى أصابتنى بالدوار، هى أن الفتاة التى راقبتها طويلا من قبل، وثبت لدى براءتها ورومانسيتها، كانت مع صديقها مغايرة تماما، حتى أننى فكرت كثيرا أن أستعين بطبيب نفسى ليحلل لى تركيبة هذه الفتاة المزدوجة الشخصية، ويشرحها لى فسيولوجيا لاستوعب كل ما سمعته منها.

لقد كانت بحق فتاة عجيبة، لم أر أو أقرأ عن حالة أخرى مثلها تعيش الازدواجية بشتى أشكالها المهذبة منها والقذرة، وتجيد التقمص فى براعة ..» !!

دائرة الشك

وعند ظهر اليوم التالى، استمع فيكينت إلى الحديث الدائر بين شابيرو وكوبلن، حيث اتفقا على الذهاب إلى مدينة فيلادلفيا Philadelphia لقضاء اليوم فى فندق ستراد فورد Strad Ford ، وقبلما يغادران الفندق فى بلتيمور ، كان ضابط الاستخبارات يسبقهما إلى فيلادلفيا، بينما جد فى إثرهما بقية فريقه.

وما حدث فى فندق مدينة بلتيمور هو ذات السيناريو الذى جرت أحداثه أيضا فى الفندق الجديد، وعند ذلك شعر فيكينت بالخجل والحرج الشديد أمام رجال فريقه وقيادته. فبدلا من مراقبة اثنين من الجواسيس، كان يراقب عاشقين أذابهما الشوق ولوعهما.

كذلك شعر إدجار هوفر مدير الـ F.B.I أن جودى كوبلن ومحامى الحكومة مجرد صديقين لا شبهة حولهما فى أية مسائل تتعلق بالجاسوسية أو الخيانة. فكلاهما من أصل عائلى عريق ولا حاجة لأحدهما فى الإثراء بطريق آخر غير شرعى. ودار نقاش طويل بين هوفر و فيكينت حول جدوى مراقبة الفتاة البريئة التى قد تكون ضحية الشكوك لا أكثر، فى عصر طالت فيه

الاتهامات العديد من الأبرياء ضحايا الحرب الباردة .

كانت وجهة نظر فيكينت أن تستمر مراقبة جودى كوبلن التى انخدع فى شخصها طوال تلك المدة وظن بأنها فتاة رومانسية حالمة، لكنها فى الوقت نفسه على علاقة سرية بشابيرو المتزوج وتتعاطى الجنس معه بشكل يدعو للحيرة، مما يشكك فى سلوكها حيث من الممكن أن تكون علاقتها الجنسية هذه تغطية لعملها التجسسى.

وإلا لماذا تتصل تليفونيا بشابيرو من تليفون عام وليس من تليفون مسكنها، وتحاول دائما أن تكون بصورة مثالية أمام الجيران والزملاء، خاصة وأن مراقبة زميلاتها اللاتى كن فى دائرة الشك لم تسفر عن شئ، بينما كانت هى الوحيدة التى تتصرف على غير طبيعتها، وهذا الأمر يدعو إلى مواصلة مراقبتها إلى حين.

لكن إدجار هوفر لم يقتنع بالمرة بوجهة نظر فيكينت هذه. إلا أن إصرار الأخير اعتمادا على حاسته كضابط استخبارات جعلت رئيسه يمنحه فرصة أخيرة للتوصل إلى رأى نهائى لا يقبل الجدل فيما يتصل بحقيقة جودى كوبلن .

المصيدة

مـرت الأسـابيع طويلـة مرهقـة .. ولم يتوصـل فيكينـت إلى نتيجة تقـوده إلى كشف اللثام عـن تلـك المـرأة، التـى تعمـل لصالح السـوفييت داخـل وزاره العـدل .. فمراقبـات النسـوة الثـلاث الأخريات لم تسفر عن شئ سوى ضياع وقـت ثمـين لفريـق رجال المخابرات المحبطين.

لكن - وبدون توقع - أطلت مفاجأة جديدة أذهلت فيكينت .. إذ اتصل به رئيس جودى فى العمل وأنبأه أن الفتاة طلبت منه أحد الملفات السرية للاطلاع عليـه .. بحجة أنها تريد إعداد تقرير مفصل عنه يكون «جاهزا» عند الحاجـة إليـه، وهـو ملـف يحوى معلومات غاية فى السرية والأهمية.

وعلى الفور .. شرع فيكينت فى نصـب كمـين محكـم تقـع فيـه جـودى .. ويستطيع بذلك أن يمسك بدليـل قـوى يدينـها بتهمـة التجسس ..

وعندما أطلع رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالية، إدجار هوفر، على تطورات الموقف، طلب وضع خطة عاجلة جدا بالاتفاق مع رئيس جودى فى العمل، حيث أرسل للمكتب بتقرير سرى، يفيد تجنيد ثلاثة من السوفييت الذين يعملون فى إحدى المؤسسات السوفييتية لصالح المخابرات الأمريكية .. وهؤلاء الثلاثة الآن فى حالة «اختبار» لبيان مدى ولائهم لأمريكا.

وبترتيب دقيق للغاية .. طلب رئيس جودى منها أن تترك كل عمل لديها، وتقوم بكتابة تحليل عن الأشخاص الثلاثة من واقع المعلومات المعطاة فى التقرير.

ووقعت جودى فى المصيدة المعدة والمتوقعة، .. وعندما قرأت الملف «الطُعم» وتبينت ما به من أسرار جديدة مذهلة، طلبت من رئيسها أن يمنحها أجازة لمدة يومين فوافق بعد ممانعة لحبك الخطة .. عند ذلك شرع فريق العمل مراقبته الصارمة لها ..

لقاء مع مجهول

وفى محطة قطارات بنسلفانيا كان بانتظارها عشرات من رجال F.B.I بسيارتهم المجهزة .. وقامت جودى ، وكأنها جاسوسة مدربة ، بجولة تمويهية طويلة تحسبا لأى أمر. وبحذر شديد كانت تنظر إلى الخلف من فوق كتفها ..

وبعد عدة ساعات من المراقبة والقلق والتوتر .. ووسط هذا الجو المشحون، ظهر شاب أشقر وسيم مفتول العضلات ، سرعان ما تبعته بحذر حتى دخلت خلفه أحد المطاعم .. ثم خرجا معاً، بعد ساعة تقريباً، وتوجها إلى محطة القطارات وركبا قطارا يتجه إلى وسط نيويورك .. يتبعهما رجال المخابرات.

وأثناء سير القطار قفز الرجل فجأة .. وتمكن أحد رجال الفريق من القفز وراءه .. لكنه أصيب بالذعر بعدما افتقد آثره تماماً .

وجاء بتقرير الـ F.B.I عن هذا اليوم :

«نزلت جودى من القطار وذهبت لفورها إلى «دورة المياه» ، ثم عادت فتنقلت من مكان إلى آخر، ثم سارت قليلاً ووقفت أمام

متجر للجواهر تلاحظ الشارع من خلال انعكاس الزجاج.

وإذا برجل ضخم حسن الهندام يمر بها دون أن يكلمها أو تكلمه، بل تبعته إلى مطعم قريب حيث دخلا وجلسا فى مكان منعزل، ولم يستطع الرجال أن يسمعوا الحديث الدائر بينهما، ثم خرجا بعد مرور ساعة تقريبا وركبا قطار الضواحى.

وقبل وصولهما إلى الشارع الأصلى، قفز الرجل الرياضى من القطار إلى الشارع وقفز خلفه أحد رجالنا. وظل الرجل المجهول يتنقل من السيارة إلى القطار ثم إلى الأتوبيس حتى ضلل من يسير خلفه فى تلك الليلة ..» .

وفى صباح اليوم التالى كان الفريق يحاصر السفارة السوفييتية فى انتظار الرجل المجهول .. ونجحت الخطة بظهور الرجل .. وأمكن التعرف عليه بسهولة لملامحه المميزة.

وعندما غادر السفارة جد فى آثره طابور طويل من رجال المخابرات حتى وصل إلى منزله .. وكان هو فالنتين جوبتشوف الدبلوماسى السوفييتى الملحق بالأمم المتحدة.

هــول الصــدمــة

كانت توقعات فيكينت صحيحة بمراقبة السفارة الروسية لكشف الجاسوس السوفييتى .. تماما كما ابتلعت جودى «الطعم» وانكشف أمرها.

لكن .. كان السؤال المحير هو:

ـ لماذا سقطت جودى فى شباك الجاسوسية وهى الفتاة الثرية التى لا تجد صعوبة فى الحصول على المال، سواء من عملها المرموق أو من خلال والدها الذى لا يبخل عليها بشىء..؟

ـ وما السبب الذى جعلها خاضعة لسيطرة الجاسوس الروسى الذى سلمته العديد من الوثائق البالغة السرية ..؟

هذه أسئلة لم يكن فيكينت يسعى للبحث عن إجابة لها .. بقدر ما كان يبحث عن دليل إدانة مادى يدين به جودى وفالنتين .

لذلك .. تم تزويد القسم الذى تعمل جودى به بتقرير سرى ثان «مطبوخ» ، يحتوى هو الآخر على معلومات غاية فى الأهمية.. يكون مجرد طعم لاصطيادها ..

وفى الحال، وكما هو متوقع، طلبت جودى من رئيسها أجازة

سريعة وعجلت بلقاء فالنتين .. وكانت ترتيبات الـ F.B.I هذه المرة قد وضعت على أساس وضع نهاية لهذه القصة.

أبدعت جودى فى خطة التمويه التى دربت عليها جيدا .. ولم تفلت للحظة من مراقبة رجال الـ F.B.I ..

وما إن ظهر فالنتين وسارا بضع خطوات فى طريقهما إلى المطعم حتى أطبق عليهما فيكينت ورجاله من كل ناحية.. ولم يستغرق الأمر معها جهدا يذكر .. فقد ألجمتها المفاجأة وتسمرت جودى مكانها لهول الصدمة حتى أنها لم تقدر على الحركة .. وكان جسدها المتخشب يرتجف برغم أنها كانت واقفة وتبكى فى هستيريا وجنون.

وبتفتيش حقيبتها وجدوا بها أدلة الإدانة التى كانت فى طريقها إلى موسكو، وهى عبارة عن ٤٣ صورة فوتوغرافية مصغرة من الوثائق، كانت بداخل نشرة مطوية للجوارب النسائية وبها أيضاً صورة من خطاب فيكينت المزيف الذى كان عبارة عن «طعم» لاصطيادها.

يقول مدير المخابرات المصرية الأسبق صلاح نصر عن تلك

اللحظات عند إلقاء القبض على جودى كوبلن[1] :

ـ عندما تم اللقاء الأخير المحتوم بين جوبتشوف وبين «مدموازيل كوبلن» فى نيويورك ، تجنب أن ياخذ منها التقارير السرية التى كانت قد سرقتها كوبلن لخدمة السوفييت.

فحينما تواعدا على اللقاء ، سار جوبتشوف مسافة طويلة على قدمية برفقتها، ثم ركب المترو، وانتقلا بعد ذلك إلى عربة أتوبيس.

ومع ذلك كان جوبتشوف لا يزال مترددا فلم يمس التقارير التى تدينه لو ضبطت معه خشية أن يكونا متبوعين. وأخيرا، عندما اعتقلهما عملاء الحكومة وفتشوهما، لم يعثروا على التقارير مع جوبتشوف، ولكن فى حقيبة يد مدموازيل كوبلن

وخطأ ضابط المخابرات هنا يكمن فى أنه عندما قابل مدموازيل كوبلن وشم رائحة الخطر، لم يتخذ خطوات ناجحة لتضليل مراقبيه .

إلا أن كفاءة رجال مكافحة الجاسوسية « F.B.I» إذا أضيفت

---

(١) تاريخ المخابرات ـ الحرب الخفية «الجزء الثانى » ص ٢١٢ ، عن دار الخيال الطبعة الأولى ٢٠٠٢.

إليها صفة الدهاء وسعة الخيال، تستطيع أن تقيم فخا وتموهه بدهاء ومهارة فائقين، بحيث تعجز أعين أكثر الناس خبرة وتجربة، عن اكتشاف الدعائم الغادرة.. والخيوط الرفيعة التى تقود إلى هذا الفخ » .

مهام شاقة جدا

يقول «إدجار هوفر» رئيس مكتب التحقيقات الفيدرالية:

- «إن رجالنا يرتدون عادة ثيابا تتسم بالمحافظة، ويتحدثون ويتصرفون كما يفعل أمثالنا من الرجال الذين نالوا قدرا طيبا من التعليم.

ولكن من الضرورى فى بعض الظروف أن يظهروا بالمظهر الذى يتفق تماما والغرض الذى يهدفون إليه».

وهذا التصريح دون الحقيقة بكثير[1] ، فقد اكتسب رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية على مر السنين شهرة مهيبة فى أوساط الجواسيس والمخربين، لقدرتهم الفائقة على التسلل بينهم، وتحطيم أشدد عصابات التآمر إحكاما فى التنظيم بانتحال شخصيات وهمية لا سبيل إلى الشك فيها.

---

(١) مجلة «المختار» عدد فبراير ١٩٦٦.

وأكبر التحديات التى يواجهها قسم التنكر فى المكتب بصورة مستمرة، هى المكائد المؤلمة التى يدبرها الجواسيس الأجانب. فهم عادة على قدر من الذكاء أعلى مما يتمتع به أغلب المجرمين. ويزداد عدد هؤلاء الجواسيس بإطراد بازدياد اهتمام الحكومات بالمستجدات التى تطرأ هنا وهناك.

هؤلاء الجواسيس يتركزون أساسا فى المنظمات والمنشآت الرسمية فى نيويورك وواشنطن.

ولما كانوا من رجال السلك الدبلوماسى ومتمتعين بالحصانة الدبلوماسية، فإن على رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية أن يكونوا حريصين للغاية، حتى لا تقع وزارة الخارجية الأمريكية فى أى حرج.

كذلك فإن أية قضية يجب أن تجمع أدلتها بمنتهى الحرص والدقة، قبل أن يخطر أى مبعوث سياسى أجنبى أنه شخص غير مرغوب فيه.

وخير مثال على ذلك قضية «مكسيم مارتينوف» الملحق بالوفد الروسى لدى الأمم المتحدة.

فقد جاءته الأوامر من عملاء الروس فى ألمانيا بالاتصال بأحد الضباط الأمريكيين برتبة كولونيل كان على وشك التقاعد من الخدمة، ومهدوا المقابلة بينه وبين مارتينوف فى نيويورك، وأبلغ الكولونيل ذلك إلى مكتب التحقيقات الفيدرالية.

وتقرر أن تتم المقابلة فى موعدها، ولكن على أن يحل أحد رجال المباحث محل الكولونيل الأمريكى.

استطاع المكتب العثور على الرجل الذى يصلح للقيام بالدور نظرا لتشابه ملامحه مع ملامح الكولونيل.

ولكن لسوء حظ الرجل أنه كان للكولوتيل شارب كث مهيب. ولعمل مثل هذا الشارب أخذ خبراء التنكر يضعونه شعرة شعرة على قاعدة من الصمغ القوى، مما كان يسبب حكة لضابط المباحث مؤلمة جدا.

ومع الماكياج وأساليبه الحديثة لم يكن من العسير إضافة عشر سنوات إلى سن رجل المباحث عن طريق التجاعيد وانتفاخ فى العينيين وشيب فى الشعر.

وبعد عدة لقاءات بين الضابط المتنكر ومارتينوف، أفصح

الأخير عن هدفه وهو الحصول على معلومات عسكرية.

وعندما أعطى الكولونيل المزيف إشارة متفقا عليها، سرعان ما أحاط بهما رجال مكتب التحقيقات الفيدرالية F.B.I ، وغادر مارتينوف البلاد فورا إلى الاتحاد السوفييتى، بعد إعلانه عن طريق وزارة الخارجية بكل أدب وحزم، أنه أصبح شخصا غير مرغوب فى وجوده بالبلاد..!!

الجاسوسة المجنونة

بالشكل الرسمى المعروف، أبعد فالنتين جوبتشوف من الولايات المتحدة الأمريكية إلى موسكو.. نظرا لكونه يحمل الحصانة الدبلوماسية .. بينما قدمت الآنسة جودى إلى المحاكمة .. وكان أكثر ما يضايقها نشر أخبار علاقتها الخاصة جدا على صفحات المجلات والصحف..

لقد وجدتها الصحف فرصة سانحة لزيادة نسبة التوزيع ..! فأوغلت فى تشريح شخصيتها واعترافاتها بأنها كانت تحب رجلين فى وقت واحد.

ولم يصدق المحلفون أن هذه الفتاة الرومانسية الرائعة الهادئة

باعت وطنها بخسا .. وانخرطت فى تيار الجاسوسية والخيانة من اجل الحب والنزوة ..

بل إنهم اعتقدوا بأن ثمة خطأ ما أوقع بالفتاة البريئة، بين فكى جهازى الاستخبارات الامريكية والسوفييتية .. خاصة بعدما أصرت جودى ـ وباستماتة ـ على أنها فتاة خجولة لا تنساق وراء العلاقات الخاصة بالرجال .

وصرخت فى المحكمة على الملأ مؤكدة بأنها احبت شابيرو وجوبتشوف حبا طاهرا بريئا .. وأنها لم تخلع ملابسها قط ، أو تتجرد منها أثناء وجودها مع شابيرو بالفندق، كما أنه أيضا لم يحاول أن يمارس معها دور الرجولة حسبما جاء بالصحف.

لكن لم يصدقها أحد فى المحكمة، على الأقل رجال الـ F..B.I الذين كانوا فى الغرفة المجاورة بالفندق ومعهم احدث آلات التنصت من وراء الجدران.

وفى جلسة سرية اكتفت المحكمة بسماع شريط مذهل سجلت عليه تفاصيل لقائها بشابيرو ذات مرة، وظهر بالشريط صوت المياه فى الحمام عندما كانت تستحم وتغنى فى خلاعة ، فصعق المحلفون لما سمعوه، وانتابتهم الدهشة لأن الفتاة خدعتهم بوجهها الطفولى البرئ وبحديثها المنمق.

إلا أنه بالرغم من ذلك، صممت الفتاة على استنكارها، مدعية بأن الـ F.B.I تريد كبش فداء لهذه القضية.. وأنها ضحية للعبة أجهزة الاستخبارات الدولية.

وعن علاقتها بالدبلوماسى الروسى اعترفت الفتاة بأنها تعرفت عليه بالصدفة فى أحد المعارض .. ونشأت بينهما صداقة حميمة انقلبت إلى حب جارف أيضا.

وبحصارها بالأدلة والقرائن والخدع التى نصبت لها، التى لم تكن تعلم عنها شيئا، .. انهارت .

أخيرا قالت فى صراحة:

ـ «لقد اضطررت لتسليمه الوثائق لكى يظل إلى جوارى .. ولولا ذلك لاستدعوه إلى موسكو» .

ووقف محاميها «أوشيبالد بالمر» يقول أمام المحكمة:

ـ «عندما يقع الإنسان فى الحب .. فإنه لا يهتم إن كان ذلك المحبوب أحمر أو أخضر .. فالحب لا يخضع لقوانين .. ولا يعرف له وطنا»

وبكت جودى بحرقة وهى تقول:

ـ «أحببته أكثر من نفسى .. فقد منحنى هذا الروسى الحنان

والأمن والثقة .. وأشعرنى بأننى فتاة كاملة الأنوثة .. فعلى مدار شهور طويلة أمدنى بأحاسيس رائعة غيرت مذاقات حياتى .. وكان على أن أعمل المستحيل حتى أبقيه إلى جوارى.. ووددت لو أستطيع أن أمنحه ما يريد .. حتى وإن طلب منى وثائق وزارة العدل كلها وتقاريرها السرية» ..

وأخيرا .. وقبل صدور الحكم بحبسها خمس سنوات .. كانت قد استحوذت على قلب محاميها الثانى «مومر أنتزا» الذى وقف إلى جانبها بعد انسحاب محاميها الأول «بالمر»، ودافع عنها بإخلاص.

وبعد انقضاء عقوبتها عام ١٩٥٤ وجدته بانتظارها .. فتزوجا، وقال مومر:

- «لا شك أننى مجنون لأننى تزوجت من جاسوسة مجنونة أيضا» [١].

لكن .. علينا ألا نتعجب

أو نندهش..

فهذا هو عالم المخابرات والجاسوسية

ذلك العالم الخفى المثير .. الغامض ..!!

---

(١) عام ١٩٧٩ ماتت جودى كوبلن بعد صراع طويل مع مرض السرطان، وقبلها بستة أعوام كان زوجها قد مات دون أن ينجبا أبناء .

ألكسندرا ميلين



سويسرية حسناء .. سيطرت على عقل المهندس الفريد فرانكشت المسئول بمصنع الطائرات الحربية، ولأنها كانت تحلم بحياة الثراء، أغدق عليها حبيبها المتزوج بالمال الوفير، ونظرا لمروره بأزمة مادية، تمكنت الموساد من الإيقاع به ، والحصول على تصميمات الطائرة «ميراج۳»..!!

الطرق الخفية

فى أواسط الخمسينيات من القرن الماضى ، تعمقت أواصر العلاقات المختلفة بين فرنسا وإسرائيل، وكان أبرز ملامحها مبيعات الأسلحة للدولة العبرية، وتزويدها بأول مفاعل نووى، إضافة إلى التعاون معاً ضد الثورة الجزائرية، والعداء المشترك لجمال عبد الناصر.

يقول د. ممدوح حامد عطية[1] :

ـ قدمت فرنسا أهم إسهام لها فى الميدان النووى عندما أرسلت مهندسى الذرة إلى إسرائيل للمساعدة فى تصميم وبناء مفاعل نووى بطاقة قدرها ٢٦ ميجا وات فى « ديمونا » ، وهو مفاعل من النوع الذى يستخدم الماء الثقيل ووقوده اليورانيوم الطبيعى وليس اليورانيوم المخصب.

وعندما دخل مفاعل ديمونا إلى مرحلة الخدمة العاملة فى

---

(١) البرنامج النووى الإسرائيلى والأمن القومى العربى، الهيئة العامة للكتاب طبعة ١٩٩٧.

ديسمبر سنة ١٩٦٣، كان قادرا على إنتاج كميات كبيرة من مادة البلوتونيوم (٢٣٩) التى تستخدم فى صنع القنبلة النووية.

ويضيف الدكتور عطية :

- وحول الدوافع التى حدت بفرنسا إلى مساعدة إسرائيل فى بناء مفاعل ديمونا Dimona النووى، فقد ذهب الظن، خاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية، إلى أن فرنسا كانت بحاجة إلى مفاعل ديمونا كمصدر تتزود منه بمادة البلوتونيوم التى يحتاج إليها برنامجها النووى، حيث كان من المفترض أن تعيد إسرائيل إلى فرنسا وقود مفاعل ديمونا المستهلك والغنى بمادة البلوتونيوم، إلا أن هذه الاتفاقية لم توضع موضع التنفيذ.

وعموماً.. فمنذ سنة ١٩٥٣ وحتى ١٩٦٧ تعاونت فرنسا فى البدء فى ظل حكومة «جى موليه» Guy Mollet، ثم فى عهد شارل ديجول Charl Digol مع إسرائيل وبصورة سرية فى مجال الأسلحة وكذا التكنولوجيا النووية.

وبمجىء الرئيس الفرنسى شارل ديجول إلى الحكم، تبين له الخطأ فى سياسة فرنسا تجاه العرب، ورأى أنه من الحكمة إعادة

لذلك. حذر إسرائيل خلال أزمة مايو ١٩٦٧ من مغبة شن ضربة وقائية ضد العرب، فوعدته إسرائيل كذبا بأنها لن تكون البادئة بالحرب.

وعندما احتلت إسرائيل أراضى سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة، اعتبر الجنرال ديجول أن عدوان ١٩٦٧ إهانة شخصية له، خاصة وأن إسرائيل ضربت العرب بطائرتها الميراج والأسلحة الفرنسية الأخرى، وفرض حظرا على مبيعات طائرات الميراج لإسرائيل.

وفى مساء ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨، ردا على عمليات فلسطينية فدائية ضد أهداف إسرائيلية ، هاجمت الطائرات الهليوكوبتر مطار بيروت الدولى، وفجرت ثلاثة عشر طائرة مدنية خالية تابعة للبنان «شركة طيران الشرق الأوسط» ، ولشركات عربية أخرى.

وندد العالم بالهجوم الإسرائيلى واتهمت الدولة الصهيونية لتورطها فيما أطلق عليه «إرهاب الدولة» .

التنديد والشجب

ففى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٦٨ ، حدث أن عناصر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، هاجمت مكتب شركة طيران العال فى مطار أثينا بالقنابل، وأطلقت النيران الكثيفة على طائرة العال الإسرائيلية التى كانت رابضة على ممر المطار، فقتل مهندساً إسرائيلياً وجرحت مضيفتين جويتين.

أصيب ركاب الطائرة بالهلع .. وحدثت حالة هرج شديدة بالمطار عند سماع دوى القنابل وطلقات الرشاشات. وتمكنت الشرطة من إلقاء القبض على المهاجمين .. وتبين أنهما كانا قد قدما من بيروت.. وينتميان للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين[١] .. وتدربا بأحد معسكرات الجبهة فى لبنان.

عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعاً طارئاً برئاسة ليفى أشكول رئيس الوزراء.. حضره كبار المسئولين العسكريين والأمنيين لمناقشة تطورات الحادث .. وفى «اجتماع أزمة» ضم

---

(١) كان د. جورج حبش قد أسس الجبهة ويقودها.. وهو أول من انتهج اسلوب خطف الطائرات لتعريف العالم بالقضية الفلسطينية، ونجحت جبهته لسنوات فى هذا النهج.. وقد اعتزل الآن العمل السياسى لكبر السن.. لكن تاريخه الجهادى الطويل المثير سيبقى ولن يغفله التاريخ.

موشى ديان وزيفى زامير رئيس الموساد الذى خلف مائير عاميت.. قرروا إنقاذ وجه إسرائيل بشن هجوم جوى لقصف مطار بيروت الدولى الذى تحرك منه «الإرهابيون» .. وتدمير كافة الطائرات الرابضة على أرضه.

وعند عرض القرار النهائى على رئيس الوزراء.. لم يوافق على تدمير جميع طائرات شركات الطيران العالمية، وإنما تدمير طائرات ثلاث أو أربع طائرات فقط «خالية من الركاب» .. وتكون لشركات عربية فقط.!!

وفى التاسعة وربع مساء ٢٨ ديسمبر.. أى بعد يومين فقط.. هاجمت عدة طائرات هليوكوبتر مطار بيروت الدولى.. جنوب العاصمة.. وأمطرته بوابل من النيران.. وفجرت (١٣) طائرة مدنية تابعة لخطوط الشرق الأوسط اللبنانية ولشركات عربية أخرى.

يقول رئيس الموساد زيفى زامير إن موشى ديان أعطى أمرا لقائدى الهليوكوبتر بتدمير جميع الطائرات المدنية العربية الرابضة على أرض المطار وكذا جميع المعدات التى تصادفهم.. وكان مقصده من ذلك ألا تظهر صورة إسرائيل بمظهر ضعيف فى

حال تدمير ثلاث او أربع طائرات فقط حسبما نصح رئيس الوزراء.

لذلك فقد انزعج ليفى أشكول بشدة « هكذا يقول زامير» عندما أخبر بعدد الطائرات التى دمرت .. وصرخ فى ديان محتدا وهو يقول:

- «إنك تضع إسرائيل فى وضع حرج للغاية وتشوه صورتنا..»

ويضيف زامير بأن أشكول سأله باهتمام بالغ:

- « هل أعلنت الحكومة اللبنانية عن وقوع ضحايا»..؟

أجبته:

- راديو لبنان أعلن عن تفجير طائرات وإصابة ما لا يقل عن تسعة أشخاص وما زالت عربات الإسعاف تنقل مصابين.

اكفهر وجه رئيس الوزراء - يقول زامير - وردد فى غضب :

- إذن عليكم استقبال تصريحات التنديد والشجب.

وطلب أشكول من الخارجية أن تعد بياناً للرد.

فى أعالى البحار

ويبدو أن البيان الرسمى الإسرائيلى كان مستفزا بما فيه الكفاية.. فقد هوجمت سياسة إسرائيل بشدة فى صحافة العالم.. وشوهت ملامح الديمقراطية التى تدعيها الدولة العبرية.. ونددت المحافل الدولية بالرد الإسرائيلى الوحشى على عملية أثينا بضرب مطار بيروت.

وكانت أكثر الردود قسوة وإيلاماً تلك التى جاءت من فرنسا.. إعلامياً ورسمياً..

فالصحف الفرنسية تبارت فى نشر صور أرشيفية عن أسرى ١٩٦٧ من العرب ، تظهر مدى مخالفة إسرائيل للاتفاقيات الدولية فى معاملتهم، كذلك نشرت لقطات أخرى لوقائع حدثت فى ١٩٥٦ وقبلها .. ففضحت بذلك أمام الشعب الفرنسى حقيقة الوضع فى إسرائيل.

أما رسمياً فقد أدانت فرنسا إسرائيل كبقية دول العالم فى شرقة وغربه.. إلا أن فرنسا ـ التى ترتبط بها لبنان بوضع خاص ـ كانت الأكثر حدة حينما وصفت الاعتداء على مطار بيروت بأنه إرهاب الدولة..

والأخطر، أن الرئيس شارل ديجول فى رد فعل مباشر على الحادث ، أمر بعدم تزويد إسرائيل بالسلاح ، بما فيه الزوارق الحربية التى سبق التعاقد عليها قبل قرار الحظر الذى فرضته فرنسا بعد ١٩٦٧ ، وكان القرار الفرنسى لطمة لإسرائيل وعقاباً لم تتوقعه ..

لذلك صب رئيس الوزراء ليفى أشكول جام غضبه على وزير الدفاع موشى ديان.. وبدوره اتهم ديان الجنرال «رافى إيتان»[١] قائد قوات المظلات الذى قاد عملية ضرب مطار بيروت.. فى محاولة لاسترضاء رئيس الوزراء الغاضب .

وعندما أرادت إسرائيل تطوير أسطولها البحرى.. سعت إلى ألمانيا لإمدادها بزوارق الصواريخ الجاكوار لحماية المدن الساحلية، خشية قصفها بواسطة الزوارق الصاروخية المصرية ذات المدى البعيد.

لكن الضغط العربى على ألمانيا أدى إلى إقناع المستشار الألمانى (كونراد آديناور) برفض تزويد إسرائيل بالزوارق. لذلك لجأت إلى

---

(١) رافى (رافائيل) إيتان ، الإرهابى الإسرائيلى الدموى .. الذى قاد عملية (فردان) لاغتيال الزعماء الفلسطينيين الثلاثة ، كذلك عملية (ليليهامر) الفاشلة .. وكان له الدور الفاعل فى عملية جوناثان بولارد .. وعملية خطف أدولف آيخمان من الأرجنتين ، وغيرها من العمليات الإرهابية ..!!

فرنسا عام ١٩٦٤ ورحب الرئيس (شارل ديجول) بالصفقة التى ستؤدى إلى إنعاش ميناء شيربورج Cherbourg على القنال الإنجليزى. وفى أبريل ١٩٦٧ كانت إسرائيل قد تسلمت خمسة لنشات من أصل ١٢ تم دفع ثمنها كاملاً.

فى ذلك الوقت كان رئيس بعثة إسرائيل لشراء السلاح، «مردخاى ليمون»[١] متواجدا فى باريس، عندما اتصل به أحد أصدقائه الحميمين فى وزارة الدفاع الفرنسية، صباح ٣ يناير ١٩٦٩، ليخبره بقرار الرئيس ديجول (بتجميد) صادرات السلاح إلى إسرائيل ، وأن القرار لن يعلن رسمياً قبل عدة أيام.

لذلك استغل «ليمون» الفرصة وأجرى اتصالاته بتل أبيب، ليغادر فى اليوم التالى الزورق رقم ٦، والزورق رقم ٧ ميناء شيربورج، بحجة تجربيتهما فى أعالى البحار بالرغم من أنهما لم

---

(١) مردخاى ليمون : ضابط فى جيش الدفاع الإسرائيلى برتبة عقيد، يحمل جواز سفر دبلوماسى، ولد عام ١٩٢٥ فى بولندا. وهاجر مع واليه عام ١٩٣٣ إلى إسرائيل، وحارب مع الإنجليز فى الحرب العالمية الثانية، وكان عمره ٢١ عاماً عندما اشترك فى تهريب اليهود إلى إسرائيل. تسلم قيادة الأسطول الإسرائيلى الصغير فى عام ١٩٥٠ وهو فى الخامسة والعشرين من عمره. حصل ليمون عل شهادة فى إدارة الأعمال من جامعة كولومبيا، ثم عين بعد سنوات مشرفاً على مشتريات إسرائيل من الأسلحة فى الخارج، حيث ساهم فى تحديث القوات المسلحة الإسرائيلية. وتولى مسئولية الإشراف على بناء الزوارق الصاروخية فى شيربورج، وكان دبلوماسياً فى السفارة الإسرائيلية بباريس، يحمل مهام جهاز الموساد وعملياته بفرنسا.

يكونا جاهزين بالمرة للإبحار.. وعندما وصلا بعدها بأيام إلى إسرائيل، كان خلالها قرار الحظر قد أعلن بشكل رسمى.

عاقبت السلطات الفرنسية العديد من المسئولين بالميناء، وحين سئل « مردخاى ليون» بواسطة الخارجية الفرنسية أجاب بكل ثقة:

- (ما الضير فيما حدث..؟ إن الزورقين ملك لإسرائيل وقد دفع ثمنهما. ونحن نحتاج إلى هذه الزوارق بشدة لذلك رأت حكومتى أثناء تجربتهما فى أعالى البحار، أنه من الأفضل متابعة إبحارهما إلى إسرائيل، وإعلان الحكومة الفرنسية بذلك القرار الذى اتخذ على وجهه السرعة، لحاجة البحرية الإسرائيلية إلى الزورقين لحماية السواحل الممتدة على البحر المتوسط من ضربات الأسطول المصرى، ومن هجمات الفدائيين وتسللهم إلى شواطئنا.)

احتجت الحكومة الفرنسية بشدة على المسلك المستفز للإسرائيليين.. ولم تشأ أن تثار ضجة فى الأوساط العالمية، حتى لا يظهر للجميع أنها خدعت . لكنها أعلنت بوضوح أن الزوارق الخمسة المتبقية لن تغادر فرنسا إلى إسرائيل بأى حال من الأحوال.

حـدث يوم عيد الـميلاد

وبخروج الجنرال شارل ديجول من الحكم فى فرنسا.. تنفست إسرائيل الصعداء وتصورت أن الرئيس الجديد جورج بومبيدو سيرفع الحظر عنها.

لكن خاب تصورها.. وبدا بومبيدو ووزير دفاعه ميشيل دوبريه أكثر تصلباً فى التعامل مع الإرث الثقيل الذى خلفه ديجول.. ورفضا التماسات إسرائيل بالإفراج عن الزوارق الخمسة فى شير بورج.

ومن جانبها قررت إسرائيل انتهاج شتى الوسائل للحصول على الزوارق الخالصة الثمن.. وانتهت الآراء إلى ضرورة التعاون بين الموساد والمخابرات العسكرية (أمان) ، لخطف الزوارق، بالحيلة، والمجئ بها لإسرائيل. وتضمنت الخطة الاستخباراتية عدة خطوات لإنجاح العملية.

وجهت إسرائيل فى ١٢ أكتوبر ١٩٦٩ خطاباً رسميا إلى فرنسا، اكدت فيه على أنها لا تنوى المطالبة مستقبلاً بتوريد الزوارق الصاروخية إليها.. وترجو استرداد الثمن المدفوع للزوارق.

بعدها بأيام وصل إلى باريس رجل الأعمال النرويجى (مارتن سايم)، مبدياً رغبته فى شراء زوارق فرنسية، لتستخدمها شركته فى (بنما) للتنقيب عن البترول.

انعقدت اللجنة المختصة فى مجلس الوزراء لدراسة الأمر وسط جو يشوبه الارتياح العام. وحيث رأت اللجنة أن الزوارق غير مجهزة بأى نوع من السلاح، وأن صفقة البيع بدت مثيرة للأزمات مع إسرائيل.

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٦٩ تقرر الموافقة على بيع الزوارق الخمسة بمبلغ ٥٥ مليون دولار، تسلمت إسرائيل منه ٢٢ مليوناً آخر مستحقاتها لدى فرنسا. وأرسل (مارتن سايم) من أزال الكتابات العبرية عن الزوارق، وكتب أسماء جديدة هى: ستار بوت (١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥).

ونظرا لأن مدينة شير بورج تعد مدينة صغيرة، فقد تعجب سكانها من بقاء أكثر من ٥٠ إسرائيلياً ما بين مهندس وبحار، كان

يفترض أن يرحلوا عن المدينة بعد انتفاء صلتهم بالزوارق. لكن الإسرائيليين كانوا قد دأبوا على ترديد مقولة أن عقود عملهم تنتهى فى ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩، أى يوم عيد الميلاد. وهو اليوم المحدد سلفاً لإتمام عملية الاختطاف.

ففى ذلك اليوم، برغم الظروف الجوية السيئة، استغل عملاء أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية احتفالات عيد الميلاد وما يشوبها من رقص وشرب وضوضاء وتسللوا فى الظلام إلى الزوارق الخمسة الراسية بالميناء.

وعند الساعة الثانية ونصف بعد منتصف الليل، أبحروا بها بأقصى سرعة مخترقين القنال الإنجليزى جنوباً. حيث كانت بانتظارهم السفينة (شيرز بيرج A [1]) فى خليج بسكايا، فقامت بتموين الزوارق بالوقود والماء والطعام، ومرافقتهم فى رحلتهم إلى حيفا.

---

(١) ذات السفينة التى استخدمت من قبل فى عملية سرقة اليورانيوم البلجيكى، التى جاءت تفاصيلها فى أحد فصول كتابنا: (حراس الهيكل .. تفاصيل عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن). الجزء الأول: الخطف.

حفل استقبال

اكتشفت السلطات الفرنسية اختفاء الزوارق.. واكتشفت أنها وقعت ضحية خدعة إسرائيلية جديدة.

وأثير عند ذلك اقتراح بأن تقصف الطائرات الحربية الفرنسية الزوارق عندما تمر بالبحر المتوسط جنوب فرنسا.. أو تعترض طريقها بواسطة بعض قطع الأسطول البحرى.

لكن رئيس الحكومة رفض الاقتراحين معاً حتى لا تثار أزمة دولية[1].. وجاء رفضه أثناء احتفاله بعيد ميلاده فى منزله الريفى.

أما وزير خارجيته موريس شومان، الذى كان عائدا لتوه من زيارة للجزائر ومصر، فقد أصيب بالذهول. واعتبر الحادث إهانة لفرنسا كلها جيشاً وشعباً وحكومة..!

(١) فى تصورى أنا من خلال قراءة جذور العلاقات الفرنسية، الإسرائيلية، أن كل ما جرى فى هذا السيناريو وغيره، مجرد تمثيليات محبكة. فهذه الدول الاستعمارية هى التى زرعت إسرائيل ولا يمكن أن تقتلعها يوماً من فلسطين من أجل عيون العرب. فالعرب دائماً واهمون عاطفيون لا يقرأون التاريخ لاستخلاص العبر. ومثل هذه التمثيليات التى لا يصدقها مختل، للأسف نحن نصدقها، وننفعل معها.

وأمام الاحتجاج الرسمى الفرنسى شديد اللهجة، ردت إسرائيل على لسان جولدا مائير التى أعلنت فى جلسة خاصة لمجلس الوزراء:

- نحن نعلم فقط أن شركة فرنسية باعت الزوارق الخمسة لشركة نرويجية، بموافقة مجلس الوزراء الفرنسى. ولا يستطيع أحد أن يستبعد أن يكون لهذه الشركة النرويجية، علاقات تجارية مع شركات مثلها فى إسرائيل.

ومثل هذه الصفقة المبرمة لا تلزم الحكومة الإسرائيلية بأى شئ تجاه الحكومة الفرنسية).

اعتبرت الخارجية الفرنسية الأدميرال مردخاى ليمون، شخصاً غير مرغوب فيه فى باريس ، ومنحته مهلة يومين لمغادرة البلاد. فوصل إلى إسرائيل ليشارك فى حفل استقبال الزوارق الصاروخية التى وصلت إلى حيفا فى ٣١ ديسمبر، وكان على رأس المستقبلين موشى ديان، الذى هنأ ليمون والطاقم ورجال المخابرات بنجاح العملية .

فى ذلك الوقت أيضاً كانت باريس[1] تعتبر حتى سنة ١٩٦٧ المركز الرئيسى للموساد فى أوربا. ودفعت الأزمة بالاستخبارات الإسرائيلية إلى نقل مقرها إلى العاصمة البلجيكية بروكسل بناء على طلب الحكومة الفرنسية.

البحث عن خائن

ومع اشتداد الحظر الفرنسى الذى شمل أيضاً الطائرات الفرنسية الحربية ميراج ٣، لم يكن أمام إسرائيل حينئذ سوى التركيز على سويسرا بالذات، للحصول على الرسوم الفنية لتصاميم المحرك النفاث للميراج ٣ والأجزاء المكونة له، حيث تنتج سويسرا الطائرة الميراج بتصريح خاص من فرنسا.

تولت شركة سولزر السويسرية مهمة إنتاج الطائرة، وكانت

(١) باريس: تكونت هذه المدينة من نمو إحدى الجزر، وتعتبر مركزا لما يسمى: «جزيرة فرنسا». فهى على شكل دائرة كبيرة تحيطها أنهار : إبت Epte ، وأيسن Aisne ، ومارن Marn ، ويون Yonne . وتوجد على الجانب الآخر من هذه الأنهار غابات كبيرة شهيرة منها: رامبوليه Rambouillet ، وسان جرمان St.Germain ، وكومبيين Compiegne، وفونتا ينيبلو Fontainebleau . هذه الغابات كانت ملكاً للملوك والطبقة النبيلة الأرستقراطية التى حكمت فرنسا، وما زالت تحوى عددا من القصور والمناظر الخلابة. هذا ويخترق المدينة نهر السين ويقسمها إلى نصفين، ويربط بين ضفتيه أكثر من ٣٤ جسرا.!!

وزارة الدفاع الفرنسية قد منحت تصاريح إنتاج وتصنيع الطائرة كاملة لكل من سويسرا واستراليا، بينما حصلت كل من إسرائيل وبلجيكا على ترخيص إنتاج وتصنيع أجزاء قليلة وغير هامة للطائرة.

أما لبنان وجنوب أفريقيا فقد حصلتا على الطائرة الفرنسية كاملة للخدمة فى سلاحهما الجوى، بالإضافة إلى إسرائيل.

وبكل ما لديها من رغبة ملحة ، سعت الاستخبارات الإسرائيلية لامتلاك دفعة جديدة من الميراج، أو سرقة تصميماتها الفنية من سويسرا لإنتاجها فى إسرائيل.

لكن لماذا سويسرا بالذات..؟

ذلك لأنها كانت قد رصدت جزءا من ميزانية تصنيع مائة طائرة ميراج ٣ ، وبعد إنتاج وتصنيع ٥٣ طائرة فقط [1] رأت أن

---

(١) الطائرة «ميراج ٣» Mirage III «السراب» ، صممت أساساً لتطير بسرعة ٢ ماخ/ساعة (الماخ = ١٦٠٩ كيلو مترا) ، على أن تكون قادرة على المعاونة الجوية الأرضية، وتحتاج فقط لأراضى هبوط صغيرة، ولتكون طائرة اعتراضية على الارتفاعات العالية. وأنتجت الطائرة على طرازات مختلفة «أكثر من ٣٠ موديلاً» منها ما هو بمقعدين للتدريب، والطائرة المقاتلة القاذفة بعيدة المدى، ومنها أيضاً طائرة الاستطلاع . ومجموع ما انتج منها من مختلف الطرازات حتى مارس ١٩٦٩ بلغ ٧٠٠ طائرة، بما فى ذلك ما أنتج خارج فرنسا بترخيص خاص. طارت طائرة =

تتوقف عن الانتاج وتكتفى بما تم تصنيعه، فبقيت لديها إذن مكونات ٤٧ طائرة أخرى كانت قد أودعتها مخازنها مع سائر تصميمات الطائرة.

وتصورت إسرائيل أنها تستطيع بحصولها على هذه المكونات تعويض الطائرات الخمسين التى حظر ديجول تصديرها إليها.لكن السلطات السويسرية رفضت محاولات جس النبض الإسرائيلية التى اتخذت طابع الحذر والسرية.

من هنا فكرت إسرائيل باللجوء إلى الطرق الاحتيالية للحصول على ما تريده.

فلجأت الاستخبارات الإسرائيلية لطرق شتى للعثور على أحد المسئولين فى المصنع السويسرى ، يقبل القيام بمغامرة صعبة مقابل المال أو الجنس، أو الاثنين معاً.

وعكفت أيضا على جمع أدق المعلومات والبيانات عن العديد

= الاختبار الأولى من الميراج III A أول مرة فى نوفمبر ١٩٥٦ ، وطارت أول طائرة فى مايو ١٩٥٨، مزودة بمحرك نفاث ذو حارق إضافى قوة ١٦٠٠ كجم، والمزود بمجموعة لزيادة السرعة أتوماتيكيا عند ١,٤ ماخ، وهذا المحرك ماركة Seneca-Atar-09-G وهو المحرك الجبار الذى سعت إسرائيل للحصول على لوحات تصميمه لتصنيعه فى مصانعها.

من مهندسى الشركة ومسئوليها، ومراقبة سلوكهم خارج المصنع وتحليله سيكولوجيا، للوقوف على أسلوب حياتهم، ربما يتم اصطياد أحدهم من خلال هفوة أو زلة، أو سلوك شائن يدفعه للسقوط فى شبكة الموساد.

إنه الأسلوب الناجح الذى أجادت الموساد استتخدامه، للسيطرة على من يراد تجنيدهم للعمل لصالحها. وأشهر هؤلاء كان المواطن المصرى الأرمنى الأصل «ليون توماس[1]»

كذلك لجأ الإسرائيليون أيضاً، إلى الأساليب النفسية المعقدة لاختيار ضالتهم، معتمدين على عقدة الذنب لدى السويسريين الناطقين بالألمانية.

هؤلاء الذين كانوا فى يوم ما يؤيدون النازية فى ألمانيا، وباتوا يعانون ـ كما تروج الصهيونية ـ من الإثم فى حق اليهود بعدما اكتشفوا وحشية الممارسات النازية ضدهم.

وكان الوصول لمسئول سويسرى رفيع المستوى فى شركة

---

(١) جاءت قصته تفصيليا فى كتابنا: «جواسيس الموساد العرب.. قصته سقوط أشهر ٢٥ جاسوسا» عن مكتبة مدبولى بالقاهرة.

سولزر ناطق بالألمانية أمر هين، فى ظل التشريح الاجتماعى الغريب فى سويسرا [١]

وفى ديسمبر ١٩٦٧ كانت وزارة الدفاع الفرنسية قد دعت لمؤتمر بباريس، حضره ممثلون عن الدول الحاصلة على تراخيص تصنيع كاملة للطائرة الميراج، أو تراخيص جزئية، بالإضافة إلى الشركات الفرنسية المختلفة التى تقوم بتصنيع بعض أجزاء الطائرة.

وهناك بدأت أهم فصول القصة ..

---

(١) بين كل ألف سويسرى هناك ٧٤٤ يتكلمون بالألمانية، و ٢٠٢ بالفرنسية ، و ٤١ بالإيطالية و ١١ مازالوا يتكلمون الرومانش، وهى لغة لاتينية خلفها الرومان القدماء.

العاشق الولهان

كان ممثل الشركة الفرنسية فى سويسرا هو المهندس «ألفريد فرانكشت» بينما مثل إسرائيل الملحق العسكرى فى باريس «دون سيون» الذى كان يتمتع بدهاء فطرى غريب.

إذ استطاع خلال زمن قياسى أن يتقرب من فرانكشت الناطق بالألمانية، وتكونت بينهما صداقة واضحة، استغلها سيون[1] استغلالاً أمثل فى اختراق أعماق المهندس السويسرى وتكشف أغواره ونقاط ضعفه.

ويبدو أن المهندس فرانكشت، وهو أحد كبار المسئولين الفنيين بالشركة السويسرية، كان يجهل بالمرة أن صداقته القوية السريعة بالمندوب الإسرائيلى، كانت خطة معدة سلفاً لبناء علاقة حميمة تعتمد على التقييم والتحليل، وضعتها أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية للنفاذ إلى عقل الخبير السويسرى وتعريته من الداخل لاقتحامه.

---

(١) زوج ابنة وزير الدفاع الإسرائيلى وقتها موشى ديان

إنها إحدى وظائف أجهزة الاستخبارات للوصول إلى مآربها .

لقد تحول الرجل إذن إلى حقل تجارب ، يخضع دون أن يدرى لنظريات التحليل النفسى والأيديولوجى.

وخلال الاستراحات التى جمعت بينهما فى بهو أو صالونات قاعة المؤتمر، تطور حديثهما إلى أمور كانت لا تمت إلى السياسة أو العسكرية بصلة. بل دارت نقاشاتهما حول جوانب إنسانية عامة، وأحاديث ودية تخللتها حميمية الحديث عن الذكريات، والهوايات المشتركة، والبيت والأولاد، ومشاغل العمل، ومشاكل الحياة عموماً، حتى تطرقا إلى «دردشات» عن النساء الباريسيات الفاتنات، ذوات الخدود المائسة والعيون الناعسة.

كان فرانكشت ينزل بفندق كريون Crillon ، أفخم فنادق باريس الذى يطل على ميدان الكونكورد، وهو نفس الميدان الذى نصبت فيه المقصلة Guillotine فى عهد الثورة الفرنسية التى كان من بين ضحاياها الملك لويس السادس عشر وزوجته الشهيرة مارى أنطوانيت.

وقد نزل بهذا الفندق من قبل الرئيس الأمريكى ويلسون، وشارلى شابلن، وهمنجواى، وجريتا جاربو، وقائمة طويلة من المشاهير من كل دول العالم.

دعاه «سيون» فى المساء للسهر فى مكان اختاره له بدقة، وكان فى «نيو ليدو كاباريه نورماندى» New Lido Cabaret Normandie حيث الاستمتاع بالخمور المعتقة، والراقصات العاريات اللاتى فى عمر الزهور من بلدان العالم المختلفة .

كما توجد بالكباريه أيضاً جبال الجليد، والشلالات، وعجائب الدنيا، تسعى للرواد فى أماكنهم فتبهرهم على صوت الموسيقى ورائحة اللحم العارى.

فى هذا الجو المثير حيث النساء الجميلات المتحررات والخمر والطعام والرقص ، انفتحت شهية فرانكشت للكلام عن نفسه، وعن مغامراته النسائية، وعن عشيقته «ألكسندرا ميلين» التى تصغره بأكثر من أربعة وعشرين عاماً.

البحث عن ألكسندرا

كانت مشاعر الفرح لا توصف عند سيون الذى أنصت جيدا لصديقه وقد لعبت الخمر برأسه ، فانطلق لسانه بما كانت إسرائيل كلها تبحث عنه.

إن ما يقوله هذا الرجل الثمل هو مفتاح شخصيته الذى يبدو ككتاب مفتوح يشرح دقائقها بصراحة، فيسهل التعامل معه.

كان فرانكشت فى نحو الثانية والخمسين من عمره، له زوجة وثلاثة أبناء، ووجد أخيرا مبتغاه مع السويسرية الحسناء التى فى عمر ابنته تقريباً.

تلك الفتاة الحسناء المثيرة، الفقيرة المعدمة التى أغدق عليها فرانكشت بالهدايا الثمينة والملابس الباريسية الباهظة الثمن، كل ذلك لكسب عقلها ومشاعرها، فمنحته ما يبحث عنه بزعم أنها تحبه أيضاً. لكنها كانت قد تحولت إلى شرهة للمال والثراء وحياة الترف.

لذلك فقد كانت طلباتها لا تنتهى، ولم يكن أمام العاشق المتيم

سوى أن يلبى لها شتى طلباتها ورغباتها واحتياجتها، حتى وإن اقترض لإسعادها.

ظهرت إذن خطوط المسألة، وحقائقها الخفية. ولأن«دون سيون» رجل استخبارات إسرائيلى قبل كل شئ ، أدرك بخبرته أن حل مشكلة الطائرة الميراج أصبح وشيكاً، من خلال السيطرة على فرانكشت بالمال لتدبير احتياجاته والإنفاق على معشوقته الصغيرة.

فالمال أحد أهم أسباب السقوط فى جب الخيانة، إلى جانب الجنس بالطبع، ذلك لأن بريق المال وأحلام الثراء، تتسلط على العقل وتدمر فيه خلايا المقاومة حتى آخر قطرة.

وتلك هى عقول الخونة والجواسيس لا الشرفاء.

فبعد دراسة وتحليل أبعاد شخصية المهندس السويسرى العاشق، أمكن قراءته جيدا . لكن ... بقيت مسألة واحدة لبلوغ الهدف وتسطير النهاية، ألا وهى الوصول إلى الكسندرا بطريقة عفوية لا يبدو منها خلاف ذلك . حيث سيتم دفعها للضغط على فرانكشت فى حال رفضه أو تخوفه.

وفى هذه الحالة سيكون المال فقط هو المقابل أيضاً الذى ستناله الفتاة المحبة للثراء، وهو ذات الهدف الذى يمكن استغلال عشيقها بواسطته.

ومع تكشف الحقائق جلية ظاهرة، كان المطلوب إذن العمل بسرعة على احتواء الأمر، وانتهاز فرصة حاجة فرانكشت وفتاته للمال للمساومة.

لقد فكر سيون كثيرا فى السيطرة على فرانكشت بواسطة مصيدة العسل، لكنه أدرك أن هذا الأسلوب لن يثمر مع هذا الرجل المتيم.

لذلك فكر من جديد بألكسندرا التى يمكن الاعتماد عليها إذا تكشفت لهم أسرار شخصيتها وتكوينها النفسى .. وبعد بحث طويل وشاق، أمكن الوصول إلى تلك المخلوقة التى يكاد يعبدها فرانكشت، ويهب روحه ومستقبله الوظيفى، واستقراره الأسرى من أجلها.

مفاتيح النجاح

كانت الكسندرا فتاة سويسرية فاتنة جدا بحق وثرية بالجمال الأملود الذى لا يقاوم، تملك سحرا وحضورا وأنوثة فتاكة، وتضج بشباب رائع ووجه مبسام يفيض حسناً.

هذه الصفات هى التى جعلت المهندس السويسرى لا يلتفت إلى امرأة أخرى ولو تعادلت معها فى الجمال، خاصة، وكان فرانكشت يكبرها بنحو ربع قرن تقريباً، مما جعله يتشبث بها، وينفق عليها بسخاء منقطع النظير.

كان هذا فى الوقت الذى بدت فيه «الكسندرا ميلين» المحرومة من هذه المتع، لا تفكر سوى فى حياة الثراء والملابس الباريسية الغالية، دونما اهتمام منها بأن حبيبها يمر بظروف مادية تكاد تكون سيئة جدا .

وبعد دراسة دقيقة، كانت هناك أراء ترى أن مساومة الكسندرا ستختصر الطريق للاتفاق مع فرانكشت، بينما رأت آراء أخرى أن الظروف التى يمر بها فرانكشت مدعاة لأن يكون صيدا سهلاً، ولا حاجة عندئذ للجوء إلى الكسندرا .

لكن ..

لضمان النجاح التام للعملية، كان لابد من إشراك الكسندرا، بطريقة أو بأخرى، خاصة وقد تبين عند الالتقاء بها، أنها تتعاطف مع اليهود، وتؤيدهم فى بناء دولتهم الجديدة فى فلسطين حتى انها لم تكن تشعر بانتماء وطنى عميق لسويسرا.. بدعوى أنها حرمت من الترقى فى وظيفتها كسكرتيرة.

وكانت الخطة محكمة تمام الإحكام، عندما دعا سيون صديقه فرانكشت والكسندرا لقضاء عدة أيام فى «سان موريتز»[1] ، حيث جبال الألب ذات الطبيعة الخلابة والفنادق المنتشرة هنا وهناك فى السهول والمرتفعات .

ذلك أن الرؤى قد توضحت أمام خبراء التحليل النفسى فى الموساد، هؤلاء الذين خلصوا إلى أن المهندس السويسرى العاشق يمكن بسهولة السيطرة عليه من خلال نقطة ضعفه، المال، بالإضافة إلى تسارع رغبته فى الإنفاق على حبيبته ذات التطلعات البعيدة، والتى يمكن لها أيضاً أن تكون عوناً فى اصطياد فرانكشت والتأثير عليه.

---

(١) سان مورتيز St.Moritz، أحد أجمل المواقع السياحية جنوب شرق سويسرا، بالقرب من الحدود الإيطالية الشمالية والنمساوية الغربية، حيث تكثر الفنادق والشاليهات والمطاعم والمناظر الطبيعية الخلابة على سفوح الجبال، ويمكن مشاهدة بانوراما رائعة ممتزجة بالألوان والصور.

من هنا أمكن التوصل إلى مفاتيح نجاح العملية من خلال نقطتى الضعف هاتين فى حياة فرانكشت، وبالتالى كان هناك انتظار للخطة المناسبة لتجنيده، حيث لن يستطيع المقاومة أمام شتى العروض والضغوط باسطا مبادئه ووطنيته فى سبيل إبقاء الكسندرا طوع بنانه.

الدور الخفى

لا أحد يعلم حتى الآن كيف توصلت الموساد إلى عشيقة فرانكشت، وكيف أمكن تحليل شخصيتها والتغلغل إليها، حتى أنها ذهبت إلى سان موريتز بادية التصميم على خدمة إسرائيل بالتأثير على صديقها لأقصى حد ممكن.

إنه أسلوب قديم ومعروف عند اليهود، ألا وهو استخدام النساء فى الوصول إلى مآربهم بأقصر الطرق، واتضح ذلك فى عشرات القصص قديماً وحديثاً مما مهد الطريق لإقامة الدولة الصهيونية فى فلسطين بواسطة أجساد النساء.

وفى سان موريتز نزل ثلاثتهم فى فندق رومنت، حيث أقام سيون فى حجرة تطل على بانوراما الطبيعة الخلابة، بينما نزلت الكسندرا مع حبيبها فى جناح خاص، وبأسماء مستعارة، ينعمان

بلحظات عشق ملتهبة ألهبت عقل العاشق العجوز فطار صوابه، وطارت بالتالى أشياء كثيرة كان من أهمها أسرار وطنه وأمنه.

فخلال هذه النزهة التى دعاهما سيون للاستمتاع بها على نفقة «الموساد»، حلت عقدة لسان فرانكشت، وتفككت إرادته، حتى أنه أقر لضيفه الإسرائيلى بمدى تعاطفه مع اليهود فى قضيتهم، برغم مسيحيته.

وبالرغم من ثقة سيون فى وقوع فرانكشت فى الشرك، وسيطرة الكسندرا على أعصابه، أبدى سيون احترامه للمهندس المغيب العقل، مظهرا مدى ثقته فى عونه لليهود فى معاناتهم بسبب الحظر الفرنسى على توريد الأسلحة لهم، والذى يجئ مع تربص العرب بهم من كل جانب.

ولما أبدى فرانكشت رغبته فى تقديم خدماته للإسرائيليين، شرح له سيون مدى احتياج إسرائيل لتصنيع الطائرة الميراج لمواجهة الطائرة السوفييتية ميج ٢١ التى يمتلكها العرب. عارضاً عليه مائتا ألف دولار مقابل المجموعة الكاملة للوحات تصميم الطائرة التى توقفت سويسرا عن إنتاجها.

كان بإمكان رجل الاستخبارات الإسرائيلى أن يعرض مليون

دولار- وهو المبلغ الذى تم رصده مبدئياً كأتعاب لفرانكشت - إلا أنه فوجئ بالمهندس السويسرى يعلن موافقته على العرض الأول الذى طرحه سيون دون مناقشة، وكأنه كان ينتظر هذا العرض ليقرر فى الحال ما سوف يقوم به من خدمات.

يقول سيون:

- «لعبت الكسندرا دورا خفياً فى إنجاز مهمتنا، فبدونها كان الأمر سيطول أكثر من اللازم، وربما لجأنا إلى الأساليب المعتادة للسيطرة على الرجل[1] لكن عملية تليينه كانت قد تمت وأثمرت نجاحاً فورياً أصابنى بالذهول.» .

وفى هذا اعتراف واضح بأن الكسندرا لعبت دورا رئيسياً فى تهيئة فرانكشت نفسياً وعقلياً، لذلك فقد وافق السويسرى المتيم دونما تردد على العرض الأول. وهو ما ينفى ادعاءات إسرائيل فيما بعد بأن الرجل وافق على القيام بالعملية لمعاناته الشديدة بسبب عقدة الذنب تجاه اليهود، واتجاهاته الأيديولوجية نحوهم.

---

(١) يقصد بالأساليب المعتادة، طريقة » مصيدة العسل « التى تجيدها الموساد بفضل توافر العميلات المدربات للسيطرة على من يراد تجنيده.!!

مصيدة العسل

أمضى فرانكشت أكثر من مائى يوم يخطط للعملية ويدرسها. لقد كان موقعه الوظيفى كبيرا فى شركة سولزر، حيث ارتقى السلم الوظيفى بالتدريج ووصل إلى ما هو فيه من مركز مرموق بفضل خبرته وأمانته إخلاصه للعمل، إضافة إلى سعيه الدائم للارتقاء.

لذلك استغل ثقة رؤسائه وأقنعهم بضرورة إعدام لوحات تصميمات الطائرة التى توقفت الشركة عن إنتاجها، وذلك بعد تصوير هذه اللوحات على الميكروفيلم لسهولة الرجوع إليها فيما بعد.

كانت هذه التصميمات تشغل حجرة سرية فى المصنع، وتتكون من آلاف اللوحات للدينامو وشبكة الكهرباء بالطائرة، بالإضافة إلى ١٢ ألف لوحة للمحرك النفاث، و ١٥٠ ألف لوحة لأجزاء أخرى من الطائرة تزن فى مجموعها (٢) طن.

ونظرا للثقة الكبيرة التى أولتها إدارة المصنع لاقتراح المهندس الكبير، حصل فرانكشت على الموافقة التى جاءت فى أول اجتماع

لمجلس الإدارة، بل وأسندت إليه مهمـة تصويـر اللوحـات وإعدامـها في ذات الوقت.

دهش رجال الموساد فى أوروبا لبراعة عميلهم المخلص فى إقناع إدارة المصنع باقتراحه، ولأن العملية بـدأت أولى خطواتـها الفعليـة، اقترحوا عليه الاستعانة بـأحد العـاملين بـالمصنع مـن بـين هـؤلاء الذين يثق بهم، لمساعدته فى نقل صناديق اللوحات.

عند ذلك أشار فرانكشت بنفسه إلى إمكان الاستعانة بابن عمه «جوزيف» الذى يعـانى هـو الآخـر مـن صعوبـات ومشـاكل ماليـة، ويرجع ذلك إلى حبه للخمر والنساء لدرجة الإدمان، بل ونصحـهم بضرورة تجنيد جوزيـف بعيـدا عنـه دون إعلامـه بالعلاقـة التـى تربطه بهم تحسبأ لفشل عملية إقناعه.

كـان الأمـر جـد بسـيط بالنسبة لجوزيـف، حيـث لم يسـتغرق سـقوطه سـوى فـترة محـدودة لم تتجـاوز الخمسـة عشـر يومـاً، إذ دفعوا إليه بصاروخ بشرى من إسرائيل، فتاة رائعـة مثيرة مدربـة تعمل داعرة محترفة وجيء بها خصيصاً مـن أجلـه، ولأنـها خبـيرة فى استخدام لغة الجسد أربكت عقله، حتى أنه فقد أمامها قدرتـه

على التفكير، أو المقاومة.

هكذا استسلم جوزيف صاغرا ووفر على الإسرائيليين اللجوء لأسلوب «مصيدة العسل»[1] الذى اشتهرت به الموساد للسيطرة على من يراد اصطيادهم، أولئك الذين يطمعون فى تذوق لذاذات المتعة بين أحضان الحسناوات.

ومقابل خمسين ألف دولار، وهو مبلغ كبير جدا بالنسبة لجوزيف فى ذلك الوقت، وافق على المعاونة لإنجاز المهمة بالاشتراك مع فرانكشت. حيث انحصرت مهمته فى استبدال الصناديق التى تحوى اللوحات الأصلية بأخرى متشابهة معبأة بالمجلات والصحف القديمة.

---

(١) مصيدة العسل : أماكن آمنة يستدرج إليها من يراد تجنيده بواسطة فتاة مبهرة الجمال والأنوثة، وهى منازل وشقق تكون مجهزة بأحدث أدوات التصوير والتسجيل، حيث يتم مفاجأة الضحية وهو فى قمة نشوته وضعفه، فتشل حينئذ إرادته وتهمد مقاومته، ويوافق خائرا بدون شروط على العمل لصالح أعداء وطنه. وهذا الأسلوب يتم استخدامه للسيطرة والتجنيد السريع، وغالباً ما يكون ناجحاً ومؤثرا أكثر من الأساليب التقليدية الأخرى.

الصدمة

تم التخطيط على أن تتم عملية التبديل بأحد المستودعات القديمة المهجورة خارج جنيف، حيث يتسلم عملاء الموساد اللوحات الأصلية ويتولون عملية نقلها إلى مكان آخر، ثم تأخذ طريقها بعد ذلك إلى إسرائيل بمعدل ٥٠ كيلو جراماً تقريباً من اللوحات كل أسبوع.

غادر إسرائيل إلى سويسرا فريق من رجال «لاكام» - وحدة التجسس التكنولوجى- للتأكد من صحة لوحات التصميمات قبل نقلها إلى تل أبيب.

فالإسرائيليون لم يرضوا فقط بلوحات المحرك النفاث الجديدة، بل طمعوا فى الحصول على تصميمات الطائرة بأكملها، وإن اتجهت نيتهم إلى الاستيلاء على مكونات الـ ٤٧ طائرة المتبقية، التى لم يتم إنتاجها فى المصنع.

هكذا التقت الأطماع والنوايا، وكانت البداية الفعلية فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٨ ، حيث تمت المبادلة الأولى بنجاح أدهش فرانكشت

وجوزيف، بعدما تولى رجال الاستخبارات الإسرائيلية فى سويسرا صناعة صناديق ورقية مشابهة تماماً لتلك الحقيقية التى تحوى التصميمات ..

وبشكل منتظم. استمر العميلان فى تسليم التصميمات للإسرائيليين حتى العاشر من سبتمبر ١٩٦٩ .

ففى ذلك اليوم ، ألقى القبض على جوزيف وانكشف ثلاثة رجال من «لاكام» أثناء عملية التبديل فى المستودع، بينما هرب المهندس الفريد فرانكشت بسيارته محاولاً الخروج من سويسرا إلى ألمانيا، لكن أمكن الإمساك به واقتياده إلى جهات التحقيق الرسمية، وهناك تفجرت المفاجآت التى كانت بمثابة الصدمة.

نعم .. كانت صدمة قاسية فى كل من سويسرا وإسرائيل بانكشاف الأمر. وجاءت اعترافات آل فرانكشت مذهلة ومخيبة لآمال بلدهم.

وما إن أعلنت السلطات السويسرية تفاصيل التورط الإسرائيلى على أراضيها، حتى عمت الفضيحة كل أرجاء المعمورة، واستدعت حكومة برن السفير الإسرائيلى لديها وحملته رسالة

احتجاج شديدة اللهجة، وكما أمرت بطرد الملحق العسكرى الإسرائيلى من « برن »[1] خلال ٤٨ ساعة، وأثيرت أزمة دبلوماسية حادة بين البلدين.

لكن .. كيف تم اكتشاف العملية..؟

تقول المصادر المهتمة، وحسبما نشر آنذاك، بأن صاحب المستودع المهجور هو الذى وقف على الحقيقة، وأبلغ السلطات عن شكوكه فى أن عملية مبادلة غامضة تتم من وراء ظهره، وقد اكتشفها بالصدفة البحتة حينما اختبأ بالمستودع واستمع إلى حوار بين شخصين كانا على مقربة من مخبأة، فهم من حديثهما أنهما إسرائيليان .

---

(١) ليس لسويسرا عاصمة قومية. فلتفادى تركيز السلطة جعلوا من لوزان مقرا للمحاكمة الفيدرالية، وبرن مقر البرلمان ، وجنيف هى مركز الشئون الدولية، وزيورخ عاصمة المال، وبال هى مركز النقل، وليس لسويسرا رئيس منتخب ، بل يعين البرلمان أحد المستشارين الفيدراليين رئيساً كل عام.

حـيل الـمخابرات

وفى المحكمة قال فرانكشت:

- «لتعلموا أننى وقعت ضحيـة نصب مدبـرة .. إننـى الآن علـى ثقة من ذلك» .

أما زوجته فقالت:

- «لـماذا لا تقـبضون على الحـية ، ألكسـندرا ، الـتى لـدغت فرانكشت فقتلت إرادته..؟

وأضافت:

- «أين هى الآن لتقر بذنبها، وتعـترف بـأن زوجـى كـان ضحيـة نزوة قادته إلى الهلاك ..؟» .

أنا جوزيف فقد صرح قائلا :

- «أعترف بأننى مذنب ..

نعم.. مذنب

واعتذر إلى الشعب السويسرى على هذا الخطأ الذى لم أكن أفكر

فى ارتكابه قط .

لقد سلط علىّ ابن عمى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية كلها، تلك التى تحالفت لتحقيق أعز أمانى الشعب اليهودى فى امتلاك طائرة حربية بمحرك الميراج تنتجها مصانعهم وذلك بعدما حظرت فرنسا تصدير الميراج لهم.

لقد سقطت بسبب الخداع وحيل المخابرات لا بسبب الطمع، مثلى كابن عمى.!! » .

وبعد عدة جلسات حكمت المحكمة الفيدرالية على الفريد فرانكشت بالسجن ٨ سنوات، بعد ما تبين قيامه بنقل ١٠٢ ألف لوحة تصميم إلى إسرائيل[1] . أما جوزيف فقد حكم عليه بالسجن لمدة عامين فقط .

أما ألكسندرا .. فقد اختفت ولم يتم توجيه أى لوم لها من المحكمة لعدم وجود شبهة استدراج فرانكشت لبراثن الموساد .

وعلى ذلك بقيت حرة ولم تهتم بالرد على التساؤلات الصحفية عن دورها فى القضية .

---

(١) استعانت بها فيما بعد فى تصميم وإنتاج الطائرة كافير

المغفل

وبعد أربع سنوات أفرج عن المهندس ألفريد فرانكشت، لحسن السلوك والالتزام بقولنين السجن وعدم الشغب، ليواجه أسرته بوجه خجول ونظرات منكسرة. فقد خسر الكثير من جراء طمعه وخيانته، وكرهه الشعب السويسرى الذى يمقت التجسس على بلاده.

ازدادت حسرته أيضاً عندما علم قبيل الإفراج عنه أن الكسندرا تزوجت من رجل أعمال فرنسى الجنسية يمتلك عدة مصانع فى الهند وبنما، وغادرت سويسرا معه إلى باريس حيث يمتلك قصرا كبيرا بالقرب من فرساى.

فنهشه الأسى، ومضى مزوياً يكتب مذكراته وقصة حياته مع النجاح فى العمل والرسوب فى الحب.

ولأنه لم يكن قد تسلم أكثر من ربع المبلغ المتفق عليه مع «سيون» ، اتصل بالسفارة الإسرائيلية فى جنيف للمطالبة ببقية مستحقاته، إلا أنهم نهروه ورفضوا استقباله، كما أغلقوا الهواتف فى وجهه كلما عاود الاتصال بهم.

فصُدم الفريد فرانكشت لهذا التجاهل، وتملكته رغبة ملحة فى

السفر إلى إسرائيل لمقابلة «سيون» الذى سيقر بحقوقه لدى الإسرائيليين.

وبالفعل، سافر إلى تل أبيب متوقعا استقبالا حافلا لما أداه من خدمات .. لكن صدمته المقابلة السيئة التى حظى بها، حتى أنه أنفق من جيبه على إقامته فى تل أبيب طوال فترة انتظاره هناك ريثما يتم استقباله وتسوية حقوقه.

لكن بعد طول انتظار وتجاهل ، اضطر لأن يغادر إسرائيل غاضباً بعدما اقترض ثمن تذكرة العودة.

وفى سويسرا، خلال تصريح صحفى عاصف ، أعلن فرانكشت على الملأ كراهيته للإسرائيليين، وندمه على الجرم الذى اقترفه فى حق وطنه، معترفاً للمرة الألف بأنهم خدعوه .

وقال فى مرارة :

نعم خدعونى ، وخذلونى، كما أن ألكسندرا كانت تعاونهم فى خداعى باسم الحب، وأن النقود التى أخذتها منهم سحبتها منى الكسندرا لتعود من جديد إلى جيوبهم.

«مغفل» ...

كانت آخر كلمة قالها فرانكشت واصفاً نفسه ...!!

كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء) .

تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى
أراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com